مجلة المجمع العلمي



الجزء الاول ـ المجلد الثالث والاربعون

بغداد

١٤١٦هـ = ١٩٩٦م

القيروان في العهود الاسلامية الاولى

دراسة في تنظيم اهلها ومعالمها العمرانية

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع

(١) القيروان واهلها

تأسست القيروان في منتصف القرن الاول لتكون مستقراً للمقاتلة العرب وعيالاتهم ، وقاعدة يقومون منها بتوسيع الدولة الاسلامية في شمالي افريقية والمغرب ثم الاندلس ، وليوطدوا الأمن والاستقرار في أرجائها . وكانت خلال قرن من تأسيسها مقر الولاة المسؤولين عن الفتوح والادارة في أقاليم شمالي افريقية ، وكلهم تقريباً من العرب المسلمين يعملون بتوجيه من الخلافة الاموية بدمشق التي عملت على توحيد النظم الادارية . وظلت القيروان مركزاً للوالي ومقاماً له قرناً من الزمن ، أي الى مجيء الدولة العباسية التي حرصت على إبقاء شمال افريقيه تابعاً لها ، وأعطت ولاتها استقلالا واسعاً في الادارة . ولم يتم اختيار الولاة على أسس قبلية ، فلم تكن العشائر التي ينتمي اليها هؤلاء الولاة متميزة في عددها أو مكانتها ، ولم يعرف عن والٍ جاء معه عشيرته أو مواليه ، فالجند مرتبطون بالدولة ، وعزل الوالي لا يؤثر في التركيب القبلي للمقاتلة .

وكان معظم المقاتلة العرب في أوائل تأسيسها من مقاتلة مصر ، ثم اضيفت اليهم أعداد من أهل الشام في زمن خلافة عبدالملك بن مروان ، وأرسل اليها العباسيون في أوائل تأسيس دولتهم أعداداً كبيرة من مقاتلة العراق بين فيهم مقاتلة من الكوفة والبصرة وخراسان . ولم تذكر المصادر أسس اختيار من كان يرسل الى القيروان ، والراجح أنهم كانوا من عشائر متعددة ذكرت المصادر عددهم الأجمالي ، ولم تذكر عن انتماءاتهم القبلية الا معلومات نزرة غير وافية .

والراجح ان معظم مقاتلة الحملات المرسلة الى القيروان كانوا يستقرون فيها ولا يعودون الى قواعدهم القديمة ، وهذا يعني أن القيروان تابعت نموها بالمقاتلة القادمين اليها ، وعوضت بعض النقص الذي يلحق بأهلها •

ولا بد من ان المقاتلة العرب كونوا معظم سكان القيروان عند تأسيسها على يد عقبة بن نافع وعندما ثبت تنظيمها حسان بن النعمان • ولما كان تنظيم هؤلاء المقاتلة قبلياً في أساسه فالراجح أن تخطيطها في هذا الزمن المبكر راعى الأسس القبلية في توزيع الخطط ، غير أن عدد الخطط التي ذكرت منسوبة الى القبائل قليل جداً ، ولابد أن عشائر أخرى كانت لها خطط أيضاً لم تذكرها المصادر ؛ والراجح أن هذه العشائر المتعددة كانت متباينة في عدد افرادها ومكانتها ، وان بعضها كان قليل العدد فضمت الى عشائر أخرى كالذي حدث في الأمصار الاسلامية الكبيرة الأخرى التي تتوفر عنها معلومات أوفى وخاصة الكوفة والبصرة[1] •

ولابد من أن التنظيمات الأولى القبلية والخططية تعرضت الى تعديلات بما جاءها من موجات تالية من المقاتلة العرب مما اشارت المصادر الى بعضها وخاصة في زمن الأمويين واوائل زمن العباسيين ، وقابل ذلك تناقص محتوم حدث بمن تل في المعارك المتعددة التي ذكرتها المصادر ولكنها لم تشر الى عدد القتلى او تركيبهم القبلي •

وقضت المتطلبات العسكرية إنشاء قواعد عسكرية جديدة من أولها ما انشىء في المناطق المعرضة للاخطار المباشرة من تهديدات الروم على سواحل شمال افريقية ، وكانت من أوائل هذه القواعد تونس وقرطاجنة ، فقد اقيمت في تونس دار صناعة السفن ؛ وشحنت بحاميات تقيم فيها دائمياً لصد هجمات الروم وللقيام بحملات ، فكان واجبها دفاعيا وهجوميا في البر والبحر ؛ وقد عزز انشاء القواعد العسكرية في مدينة تونس وقرطاجنة تأمين سلامة

---

(1) انظر كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة» الفصل الاول.

القيروان التي غدت « عاصمة » تسند القوات الامامية وتدعمها ، فاصبحت مؤمنة من تهديدات الروم ولم تتعرض في القرون الأولى لهجماتهم ، وخفف عنها واجب الاسهام المتابع في الدفاع عن السواحل • والراجح أن القيروان ظلت القاعدة المركزية للديوان الذي يصله ما يجبى من الأموال ويقوم بتوزيع العطاء على المقاتلة من أهلها ومن في المراكز الأمامية التي لم تكن بعيدة عن القيروان • ولم تقدم المصادر تفاصيل عن عدد المقاتلة الذين نقلوا الى هذه المراكز الأمامية او تنظيم دفع العطاء لهم •

توزع مساكن العرب في المناطق خارج القيروان :

تطلب توسع الدولة وضمها بلاد المغرب إقامة حاميات دائمية في مراكز ذات أهمية إدارية وعسكرية ، وذكر اليعقوبي في كتابه «البلدان» العشائر العربية التي كانت تقيم في أواخر القرن الثالث الهجري في عدد من هذه المراكز المتفرقة في شمالي افريقية ، ولابد ان هؤلاء او اكثرهم نقلوا من القيروان ، وكان لنقلهم أثر واسع في تركيبها السكاني وخططها • ولم يذكر اليعقوبي تاريخ بدء استيطانهم في تلك المراكز ، غير أن سياق الحوادث يقتضي أن بعضهم توطن في زمن مبكر ، وبعضهم توطن في زمن الأغالبة ، ولم تقدم المصادر ما يمكننا من وضع صورة شاملة دقيقة لهذا التوطن أو زمنه ، غير أنه يمكن القول بأنهم أو غالبيتهم كانوا من المقاتلة ، وان توزيعهم تم لدعم الولاة في تثبيت الامن والاستقرار في تلك البلاد الواسعة المعرضة للاضطرابات

ذكر اليعقوبي أن « جزيرة شريك فيها قوم من رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب والعجم » وان سطفورة «مدينة كبيرة بها قوم من قريش ومن قضاعة وغيرهم »[٢] وذكر أن « باجة بها قوم من جند بني هاشم القدم وقوم من العجم »[٣]•

وذكر ان طبنة مدينة الزاب العظمى « وهي التي ينزلها الولاة وبها اخلاط

(٢) البلدان ٣٤٨. (٣) البلدان ٣٤٩.

من قريش والعرب والجند والعجم والافارقة والروم والبربر » ، وان باغاية وهي من الزاب ، « بها قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان ، وعجم من عجم البلد من بقايا الروم»[٤]. وذكر أن «سطيف بها قوم من بني أسد بن خزيمة عمال من قبل ابن الأغلب » وأن بلزمة « أهلها قوم من بني تميم وموال لبني تميم » ونقاوس « بها قوم من الجند وجواليها البربر » ومقرة « أهلها قوم من ضبة ، وبها قوم من العجم وحولها قوم من البربر » وان في باجة « قوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصمصامة خالفوا على ابن الأغلب ، وظفر ابن الأغلب ببعضهم فحبسهم »[٥]. وذكر أن حجانة ، وهي على اربع مراحل من القيروان «اهلها وقوم يقال لهم : السناجرة ، يقال : ان اولهم من سنجار من ديار ربيعة ، وهم جند للسلطان ، وبها اصناف من العجم من البربر وغيرهم »[٦].

يتبين من هذه النصوص التي انفرد بها اليعقوبي ، وليس في المصادر ما يناقضها :

١ ــ أن العرب احتفظوا في شمالي افريقية إبان القرون الثلاثة الأولى ، وربما بعدها ، بالسمات الأساسية المميزة لهم وهي التمسك بالانتماء القبلي ، ولابد من أن هذا يتبعه تمسك باللغة العربية والدين الاسلامي .

٢ ــ ان عددهم في كل مكان ذكر نزولهم فيه كان كبيراً لدرجة لافتة للنظر . ولكنه لم يحدد هذا العدد في أي مكان .

٣ ــ كون العرب في كل مكان نزلوه جاليات مستوطنة دائمياً ، اي انه كانت معهم نساؤهم وعيالاتهم .

٤ ــ الراجح ان جميع هؤلاء العرب هم من الجند والمقاتلة ، غير أن استقرارهم اضاف اليهم سمات حضارية من حيث الحرف والاعمال والتنظيمات الاجتماعية .

٥ ــ لم يكن أي من المراكز التي ذكر استيطان العرب فيها ، مركزاً لحركة فكرية لافتة للنظر .

---

(٤) البلدان ٣٥٠ . (٥) البلدان ٣٥١ (٦) البلدان ٣٤٩ .

٦ ـ لم يذكر اليعقوبي زمن استيطان العرب في المواقع التي ذكرها ، والراجح انهم قوات عسكرية جاءت اما من المشرق او نقلت من المقيمين في القيروان، وان ارتباطهم كان وثيقا بالدولة •

٧ ـ من المحتمل انهم حافظوا على اعمالهم في اداء الواجبات العسكرية وانهم كانوا يعتمدون في معاشهم على العطاء والرزق الذي توزعه الدولة عليهم على وفق نظم لا تختلف عن ما كان سائداً في الامصار الاسلامية الاخرى•

٨ ـ إن توزع هذه الحاميات في أرجاء البلاد أسهم في استقرار الحكم العربي في المغرب ونشر الاسلام فيه •

٩ ـ ان نقلهم من القيروان أثر في تركيبها السكاني ، غير أنه يجب أن نذكر الزيادات الجديدة التي قدمتها في أوقات مختلفة ، ولعل هذه الهجرات كان لها أثر في تخفيف ازدحام السكان في القيروان ، وجنبها التعقيدات التي ترافق تزايد هذا الازدحام •

١٠ ـ لاتوجد اشارة الى الأسس التي تم بموجبها اختيار من نقل من القيروان الى هذه المناطق •

١١ ـ ان العشائر التي ذكر اليعقوبي توزعها في المغرب هي :

أ ـ رهط عمر بن الخطاب في جزيرة شريك •

ب ـ قوم من قريش في سطفورة والزاب •

جـ ـ أسد بن خزيمة في سطيف •

د ـ سعد بن تميم في طبنة وبارم مع مواليهم •

هـ ـ قضاعة في سطيف •

و ـ سائر بطون العرب في جزيرة شريك والزاب •

ز ـ جند بني هاشم القدم في باجة •

ح ـ السناجرة من ربيعة في مماسة •

خ ـ العجم في جزيرة شريك وباجة ومماسة والزاب (مع افارقة والروم والبربر) •

ي ـ أخلاط من الناس في الاعجاره ، والاريس •
ك ـ قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان في باغاية •
ل ـ عجم البلد من بقايا الروم في باغاية •

ويلاحظ في القائمة التي ذكرهـا اليعقوبي أن كل عشيرة استوطنت معاً في مكان ، غير انه لا تتوفر معلومات عن الدافع لاختيار كل عشيرة دون غيرها وهل أن كل العشيرة نقل او بعضها وظل الباقون في القيروان •

ولابد أن عدداً من مقاتلة القيروان شاركـوا في فتـح الاندلس وكانت حملـة طارق بن زيـاد أكثرهـا من البربـر ، أمـا جيش موسى بـن نصير الذي تلاه فكان فيه ١٢ الف عربي[٧] واستصحب الحر بن يوسف معه اربعمائة من وجوه افريقية[٨] وكانت طالعة باج عشرة الاف غالبيتهم من القيسين ، وكان المشاركون الاولون يسمون البلدانين ودخلوا في صـراع مرير مـع القوات الشامية التـي ارسلت فيمـا بعد وقد استوطنت هـذه القوات بـلاد الاندلس لطيبها فاقاموا في نواحيها[٩] •

. درس الدكتور عبد الواحد ذنون عشائر البلدانين واماكن استيطانهم في الاندلس وذكر من عشائرهم الأنصار ، والازد ، وغافق ، ولخم ، وجذام ، والمعافـر ، وتجيب ، وحضرموت ، وخـولان ، وخثعم ، وبجيلة ، ومذحج ، ومراد ، وعبس ، وأود ، وسعد العشيرة ، وزبيد ، وسبأ ، ويحصب ، وقضاعة ، وبلى ، وعنزة • وذكر ايضا هذيلاً ، وتميماً ، وقريشاً ، ونهد ، وزهرة ، وضبة ، كما أن من المستقرين الأوائل سهم ، وسليم ، وعبس ، وذبيان[١٠] •

---

(٧) عبد الواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربـي الاسلامي في شمال افريقية والاندلـس ١٧٥ ، وانظر مصادره ص١٩٥ .
(٨) فتح الاندلس ٢٣ .
(٩) نفـح الطيب للمقـرى ١/٧٧ عن الـرازي ، وانظـر تفاصيل وافيه في « فجر الاندلـس » لحسين مؤنس .
(١٠) عبدالواحد ذنون : الفتح والاستقرار ٢١٦ ـ ٢٣٨ .

مقرات جديدة للولاة :

من اقوى المؤشرات على أحوال القيروان السكانية والادارية اتخاذ عدد من الولاة مقامهم في مراكز شيدوها خارج القيروان .

القصر القديم والعباسية :

أول من اتخذ مقره خارج القيروان هو ابراهيم بن الأغلب الذي ولي افريقية في زمن هارون الرشيد ثم استقل بالولاية وانتقل من القيروان الى مدينة شيدها سنة ١٨٤ على بعد ثلاثة اميال جنوب شرقي القيروان سماها العباسية ، ثم اشتهرت باسم القصر القديم، فصارت على درجة من الاحكام وحسن المنظر فصارت دار أمراء بني الاغلب ، وقد بنى فيها جامعاً له صومعة مستديرة مبنية بالاجر والعمد ، سبع طبقات لم ير أحكم منها ولا احسن منظر ، وحمامات كثيرة وفنادق واسواقاً جمة ومواجل للماء ، وكانت تمون القيروان بالماء اذا شح في مواجلها[1] .

وكان للقصر القديم خمسة أبواب، وفيه رحبة كبيرة تعرف بالميدان ويجاورها بنية تعرف بالرصافة[2] ، وكان قد اشترى موضعه من بني طالوت[3] وكانت بقربه العتابية[4] .

---

١ ـ الكامل لابن الاثير ١٥٦/٦ البيان المغرب لابن عذاري ١٤٨/١١٧/١ معالم الايمان ١٠/٢ العيون والحدائق ٣٠٣ . وانظر ايضا دراسة سولينياك في حوليات معهد الدراسات الشرقية في الجزائر م/٤٠ سنة ١٩٥٢ .

٢ ـ المسالك للبكري ٢٨ ، ياقوت ١١٩/٤ ، المقتبس لابن حيان ٣٠٣ .

٣ ـ البيان المغرب ١١٧/١

٤ ـ معالم الايمان ١٠٩/٢ الخشني ٢٢٢ .

رقـــــادة :

وفي سنة ٢٦٣ بنى ابراهيم بن أحمد بن الأغلب رقادة ، وأكمل بناءها بعد سنة ، وفيها قصر الفتح وانتقل اليها من القصر القديـم ، وهي على بعد أربعة أميال من القيروان ، ودورها أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعون ذراعاً ، وكانت تتميز باعتدال المناخ وخصب التربة(٥) .

ويذكر ابن الابار أن ابراهيم أجـرى اليها الميـاه واغترس فيها صنوف الثمار والطيب والرياحين ، وبنى على القصور التي أحدث فيهـا سوراً ، احد هذه القصور يسمى بغداد والثاني يسمى المختار ، فصارت أكبر من القيروان بينهما ستة اميال ، فلما ولي زيادة الله هذا انتقل اليها وخرِّ بها حفيراً بناه صهريجا طوله خمسمائة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع ، وأجرى اليه ساقية وسماه البحر وبنى فيها قصرا سماه العروس على أربع طبقات انفق فيه مائة الف دينار ، وكان عبيدالله يقـول رأيت ثلاثـة اشـياء بافريقية لـم أر مثلهـا في الشـرق منها هذا القصر(٦) .

وظلت دار ملك بني الأغلب الى أن هرب عنها زيادة الله من ابي عبيد الله الشيعي ، ثم تدهورت بعد أن انتقل عنها عبيدالله الفاطمي سـنة ٣٠٨ فدخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ، ولم تزل تخرب شيئا بعد شيء الى ان ولي معد ابن اسماعيل فخرب مابقي منها وغدا اثارها وحرث منازلها ولم يبقَ منهـا غير بساتينها(٧) وقد اباح ابراهيم بن احمد شرب النبيذ بها(٨) .

---

٥ ـ البيان المغرب ١/٦٣/٤ اثار البلاد للقزويني ١٩٩ .

٦ ـ الحلة السيراء ١/١٧٦ .

٧ ـ المسالك للبكري ٢٧ ، وانظر الاصطخرى ٣٩ ابن حوقـل ٧٣ ، معجم البلدان ٢/٧٩٧ .

٨ ـ معجـم البلـدان ٤/٦٩٥ .

المهديــة :

ولما مد الفاطميون سلطانهم الى منطقة القيروان قدم عبيدالله المهدي الى رقادة ودخلها في رجب سنة ٢٩٦ ، وسلم عليه اهل القيروان بالخلافة ، وبايعوه على الطاعة(١٠)، وكانت القيروان حينئذ اوفر ماتكون علماً وتجارة وخاصة(١١). غير ان الخلافات استعرت ، واتخذ بعض الثائرين علـى الفاطميين مقرهـم في القيروان وساندهم اهلها ؛ فلما قضى عبيد الله المهدي على التمرد قرران يتخذ له مقراً جديداً، واختار له موقعاً على البحر يبعد قرابة مرحلتين عن القيروان، وبدأ بتشييده سنة ٣٠٤ ثـم انتقـل اليه سنة ٣٠٨ بعـد ان اكتمـل فعظـم بناءه ، وسمـاه المهديـة(١٢) .

وصف المقدسي المهدية بانها « خزانة القيروان ، ومطـرح صقليه ومصر ، عامرة آهلة ، من احب ان ينظر الى القسطنطينيـة فلينظر اليها ولايتغنـى الى بلد الروم فانها على عملها في جزيرة يدخل اليها من طريق واحد مثل الشرك(١٣) »

وذكر ابن حوقل أن المهدية « فرضة لما والاها من البلاد ؛ كثيرة التجارة ، حسنة السور والعمارة ، منيعة ، ولها سور من حجارة ، وله بابان ليس لهما فيما رأينا من الأرض شبيه ولا نظير غير البابين اللذين في سـور الرافقـة ، وعلى مثالهما عملا، ومثـل شكلهما اتخذا . كثيـرة القصور ، نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمامـات والخانـات .. ادركتها سنة ٣٣٦ .. فقـد اختلت احوالها ، والتاثت اعمالها ، وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها عنها ، وبعدهـم منها ؛ وكان أول نحس أظلها ابو يزيد مخلد بن كيداد وخروجه بالمغرب على اهلها ، وأناخت المناخس عليها الى الآن ، وقد بقى فيها بعض رمق ، وانتقل عنها رجالهـا بانتقال المنصور عليه السلام عنها وبعده منها وسكناه المنصورية من ظهر القيروان(١٤) .

---

(١٠) الفاطميون في مصر للدكتور حسن ابراهيم حسن ١٢ — ١٣ .
(١١) العيون والحدائق ٢٢٠/٢ (طبعة نبيلة عبد المنعم) .
(١٢) البيان المغرب ٢٤٣/١ ، ٢٥٨ .
(١٣) احسن التقاسيم ٢٢١ .
(١٤) ابن حوقل ٧٣ .

وذكر الحميري تفاصيل عن موقعها وسورها . وقال ان « البحر قد احاط بها من جهاتها الثلاث ، وانما يدخل اليها من جانب الغرب ، وربضها يعرف بزويله فيه الاسواق والحمامات » وان « المهدية يسكنها السلطان وجنوده ، وزويلة يسكنها الناس[١٥] .

صبرة (المنصورية):

وفي سنة ٣٣٧ بنى المنصور بن القاسم مدينة صبرة وسماها المنصورية واستوطنها ، فصارت منزل الولاة الى حين خرابها ؛ ونقل ياقوت عن البكري « صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل بن القاسم بن عبيدالله سنة ٣٣٧ » وذكر انه عندما بنيت « خلت اكثر مدينة المهدية وتهدمت »[١٦] .

وصف المقدسي صبرة فقال « وهي مدورة مثل الطاس لاترى مثلها ، ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام ، والماء يجري وسطها ، شديد العمارة حسنة الأسواق بها جامع السلطان . وعرض سورها اثناء عشر ذراعاً ، منفصلة عن العمارة بينها وبين القصر عرض الطريق . وتجارها يغدون ويروحون اليها من المصر على حمير مصرية ، والابواب : باب الفتوح وباب زويلة وباب وادي القصارين وكلها محددة الحيطان آجر مكحل بالحجر[١٧] .

ونقل البكري ان معد بن اسماعيل نقل اليها اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ، وأن لها خمسة ابواب هي الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب الفتوح وباب كتامة ؛ وظلت المنصورية الى سنة ٤٤٢ حين خربتها غارات الاعراب .[١٨]

---

(١٥) الروض المعطار ٥٦١ ـ ٥٦٢ ، وانظر تفاصيل اوفى ص١٧٦ وانظر ايضاً : المسالك للبكري ٢٩ ـ ٣٠ .

(١٦) معجم البلدان ٣/٢٦٦ . (١٧) المقدسي ٢٢٦ .

(١٨) البكري ٢٦ ، وانظر : النجوم الزاهرة في حلى مصر والقاهرة لابن سعيد ٣/٢٤٢ .

ويذكر مؤلف العيون والحدائق انه « في سنة ٣٤٥ ابتدىء في نقل صنائع اهل القيروان الى المنصورية وسكنوا فيها[١٩] .

اثر انشاء مراكز الحكم الجديد ، وأثار الاضطرابات :

لابد أن انتقال مراكز رجال الحكم من القيروان رافقه انتقال رجال الادارة والمتصلين بالوالي من حاشيته وحرسه وجنده ؛ غير ان هذه الامور لم تقض على القيروان ، لاسيما ان كلا من العباسية والرقادة وصبرة كانت في ضواحي القيروان وقريبة منها ، وهي لم تأخذ من السكان الا عدداً محدوداً ، ولابد من أن كثيراً من سكانها ظلوا مقيمين فيها واحتفظت بكثير من معالمها العمرانية وأسماء خططها القديمة ، واذا كانت مكانتها الادارية والعسكرية قد ضعفت فانها احتفظت بالحياة الاقتصادية والحضرية والفكرية وعنيت بانمائها .

غير ان عوامل متعددة كانت تعمل على اضعاف مكانتها ، منها المراكز التي اتخذها رجال الحكم خارجها والتي لابد انها جلبت عددا من ذوي الكفاءة الادارية والمقربين للحكم وكانت مراكز « حرفية » فأثرت في سحب بعض الموارد العامة في القيروان وفي النشاط المالي والتجاري .

وكان لنمو مدينة تونس اثر اكبر في اضعاف مكانة القيروان الاقتصادية ، حيث ان موقع تونس قريبة من البحر يجعلها اكثر ملاءمة لتكون مركز حركة تجارية واسعة خاصة وان دار الصناعة التي انشئت فيها لابد وانه رافقه ازدهار مينائها ، فاصبحت المركز الاكبر للتجارة البحرية والعالمية في شمالي افريقية ، كما ازدهرت المدن الاخرى مثل سوسة وصفاقس .

ولما وصل عبيدالله المهدي قسم اعمال دولته على رؤساء كتامة الذين ساعدوه على اقامة دولته ، واختار ولاته من زعماء كتامة[٢٠] وكان من

---

(١٩) العيون والحدائق ٤-٢/٢٠٩ .

(٢٠) الفاطميون في مصر ٨٣ – ٤ .

أول ما عمله عندما ترك القصر أنه وزع دورهـا على كتامة حيث إنهم شيعة الفاطميين واهـل دعوتهم[٢١] . وثـارت بين كتامـة وأهل القيروان عـدة فتن

ففي سنة ٢٩٦ ثارت فتنـة بين كتامة وأهـل القيروان ، فقتـل فيها خلق كثير ، فخرج المهدي وسكن الفتنة، وكف الدعاة عن طلب التشيع من العامة[٢٢].

وفي سنة ٣٢٩ كانت وقعة بين القيروانيين و الكتاميين ، قتلوا منهم في يوم واحد اكثر من الف رجل[٢٣] وفي السنة التالية خالف عروبة بن يوسف الكتامي بالقيروان فاجتمع عليه خلق كثير من كتامة والبربر ، فاخرج اليهم المهدي مولاه غالباً ، فاقتتلوا قتالا شديداً في فحص القيروان ، فقتل عروبه وبنو عمه ، وقتل منهم عالم لايحصون[٢٤] .

ولقيت القـيروان عـدداً من الاحـداث التي اصيب فيها أهل القيروان بالأذى ، وقتل منهم عدد غير قليـل ، لكن هـذه الأحداث كانت وقتية لم تؤد الى تدميرها .

ففي سنة ٣٢٩ وكان ابو يزيد الخارجي أسر من أهل القـيروان خلق كثير ودخل القيروان بعسكره فانتهبـوا البلد وقتلوا[٢٥] غير ان الفاطميين دحروهم واسترجعوا القـيروان ، وانهـزم ابو يزيد هزيمة منكـره ، وقتل جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان[٢٦] واسترجع المنصور القيروان[٢٧] .

---

(٢١) المقفى الكبير للمقريزي ٣١ ، ٨١ .
(٢٢) اتعاظ الحنفا ٦١/١ ، المقفى الكبير ٩١ .
(٢٣) البيان المغرب ٢٦٦/١ .
(٢٤) اتعاظ الحنفا ١٠٠/١ ، ابن الاثير ٣٤/٨ .
(٢٥) اتعاظ الحنفا ١١١/١ .
(٢٦) اتعاظ الحنفا ١١٥/١ .
(٢٧) اتعاظ الحنفا ١٥١/١ .

وفي سنة ٣٣٣ سار مخلد بن كيداد الاباضي الى رقادة واخرج من بها من كتامة بعد أن قتل منهم خلقاً كبيراً ثم زحف الى القيروان فدخلها .. ونهب القيروان وسباها وكانت أمور عظيمة . وقتل من مشارقة القيروان سبعمائة[٢٨] .

وفي سنة ٣٣٤ خرج ابو طاهر اسماعيل من المهدية فوصل القيروان ، وولى عليها مخلد بن كيداد ، فملكها وأمر بحفر الخندق في الموضع الذي نزل فيه[٢٩] .

وفي سنة ٣٤١ امر المنصور بكتابة اولاد القواد ووجوه الدولة وضعفاء الناس من أهل القيروان وغيرها . فبلغوا اكثر من عشرة الاف[٣٠] .

احتفاظ القيروان بمكانها :

غير ان هذه الاحداث لم تزعزع مكانة القيروان العلمية وازدهارها مما اشاد به عدد غير قليل من المؤلفين العرب ، فقال محيي الدين عبدالواحد المراكشي ان القيروان كانت « دار ملك المسلمين بافريقية منذ الفتح ، لم يزل الخلفاء من بني امية وبني العباس يولون عليها الامراء من قبلهم الى ان اضطرب أمر بني العباس واستبد الاغالبة بالملك بعض الاستبداد ، وهم بنو اغلب بن محمد بن ابراهيم بن اغلب التميميون ، فاتخذوا القيروان داراً لملكهم ، ثم ولوا عليها حين ارتحلوا الى مصر زيري بن مناد الصنهاجي فلم يزل زيري وبنوه ملوكاً عليها »[٣١] .

ويقول ايضا « وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح الى ان

---

(٢٨) البيان المغرب ٩٨/١ العبر لابن خلدون ٤/١٤٠ - ٢ .
(٢٩) المقفى الكبير ١٢٠ .
(٣٠) المقفى الكبير ١٨٤ .
(٣١) المعجب في اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ٣٥٥ .

خربتها الاعراب دار العلم بالمغرب ، ينسب اليها اكابر علمائه ، واليها كانت رحلة اهله فـي طاب العلـم »[٣٢] ،ويقول الادريسي « ومدينـة القيروان ام امصار وقاعدة أنظار ، وكانت أهم مدن الغـرب طرا وأكثرها بشـراً وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا وأتقنها بناءا وأنفسـها همما وأربحهـا تجارة وأكثرهـا جباية وأنفقها سلعة وأنماهـا ربحاً وأجرهم عصيانـاً وأطغاهم أغمـاراً • والغالب على فضلائهـم التمسـك بالخـير والوفـاء بالعهـد والتخلـي عن الشبهات واجتناب المحـارم والتفنن في محاسـن العلوم والميـل الى القصـد »[٣٣] •

ويقول الحسن بن محمد الـوزان « وقد ازد هـرت العلوم الاسلامية بالقيروان في تاريخها حتى ان معظم فقهاء افريقية من المتخرجين منهـا»[٣٤] •

وكانت الحركة الفكرية فيها تسـير في مواضيعهـا واتجاهاتها على نفس ما كان يجري في المشـرق ولاسيما في بغـداد والحجاز من الاهتمـام بالفقه والحديث واللغة ، ولم تظهر فيها آثار التيارات المحلية ، كما انها لم تكن مركزاً لنقل علوم الاغريق أو لانماء دراسات علوم الاوائل ، وقد قدمها عدد من علماء المشارقـة للتدريس وليس للدراسـة ، كمـا قدمهـا عـدد كبـير من أهل الاندلس للدراسة •

ووصف المقدسي القيروان ومما قاله : « انها تكون أقل من ثلاثة أميال في مثلها ، بلاسور وشربهـم من مواجيل وصهاريـج ، وبنيانهم مدروآجر •• انها مفخرة المغـرب ومركـز السلطان واحـد الاركـان ، ارفـق من نيسابور ، واكبر من دمشق ، وآهـل من اصبهان ، الا ان ماءهـم ضعيف وادبهم طفيف ، والضرائب موضوعـة على أصحاب الدكاكين ، وأسواقهـم معطلة ، وهي فرضة المغربين ومتجر البحرين •

---

(٣٢) المعجب ٣٥٦ •

(٣٣) الادريسي : وصف افريقية ٨٠ طبعة بيريز

(٣٤) وصف افريقية ٢/٩٠ •

وذكر أن أهلها حنفيــة ومالكية مع إلفــة عجيبة لاشغب بينهــم ولا عصبية[٣٥] وهذه ظاهرة تلفت النظــر اذا قورنت بكثير من المــدن الاسلامية التي كان في الغالب كل منها ينقسم الى كتلتين متخاصمتين .

وذكر ابن حوقل « كانت القيروان اعظم مدينــة بالمغرب ، واكثرها تجراً واموالاً ، واحسنها منازل واسواقاً ، وكان فيها ديوان جميع المغــرب ، واليها تجبى اموالها ، وبها دار سلطانها ، وبظاهرها المكــان المدعو رقادة وهو مدينة كانت منازل لآل الاغاب »[٣٦] .

غير ان الضربــة القاضية على القــيروان حلت عندمــا اخلاها الزيريون فاجتاحها الهلاليون ، وفي هذا يقول ابن عذاري « كانت القــيروان اعظم مدن المغرب طراً ، واكثرها بشراً وايسرها أموالاً ، وأوسعها أحوالاً ، وكان الغالب على اهلها التمسك بالخير والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم الى ان توالت الجوائح عليها بدخول العرب فيها على ما يأتي ذكره ، فلم يبق بهــا الا أطلال دارسة واثار طامسة »[٣٧] .

ووصف اخلاء الزيريين القيروان فقال « نادى مناد في القــيروان بانتقال من يسكن فيها من الصنهاجيين الى المنصورة ، ثــم نادى مناد آخــر بعد ذلك باغلاق الحوانيت بالقيروان وفنادقها ، فاغلقت ولم يبق بهــا الا بعض حوانيت الأحباس ، وبلغ كراء حانوت بالمنصورية مائتي درهم لبيع الكتان ، ومــا سمع ذلك في كراء حانوت بالقيروان فكان ذلك سبب خرابها »[٣٨] .

---

(٣٥) احسن التقاسيم ١٢٤ .
(٣٦) ابن حوقل ٩٤ .
(٣٧) البيان المغرب ٢٩٤/١ .
(٣٨) البيان المغرب ٣٧٦/١ .

ويذكر أيضاً أن السلطان أمـر « ان ينقل عامة أهـل صبرة وسوقها الى القيروان ، ونقلـوا الحوانيت كلهـا بصبرة ، وأمـر جميع من بالقـيروان من الصنهاجيين وغيرهم من البربـر ان ينتقلوا الى صبرة ، وينزلـوا في حوانيتها وأسواقها ، فارتج البلد لذلك وعظم الخطب واشتد الكرب ومد العبيد ورجال صنهاجة ايديهم الى خشب الحوانيت وسقائفهـا واقتلعوهـا ، وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة ، وبات الناس في خوف عظيم »(٣٩) .

ونقل عن ابي شـرف وصف الاضطراب والهلع في القـيروان ثم انهيار مقاومتها فقـال « وبـات الناس ليلتـين بالقيروان تحت ما لا يعلمـه الا الله تعالى من الخوف لا يدرون ما ينزل بساحتهم واقام الناس يومين لا يدخل اليهم داخل ولا يخرج منهم خارج ، وخيل العرب تسرح حول القيروان في كل جهة، ومكان الناس يرونهم عياناً بياناً » ولجأ أهل البوادي الى القيروان (٤٠).

ثم نقل لابن شرف عن شاهد عيان قوله « خرجت من القيروان وسرت ليلا فكنت اكمن النهار فلم أر قريـة الا وقـد سحقت واكلت ، واهلها عـراة امام حيطانهم من رجل وامرأة وطفل يبكي جميعهم جوعاً وبـرداً ، وانقطع الميرعن القيروان ، وتعطلت الأسواق ، وأمسك العرب جميع من رأوه فلم يطلقوا أحداً الا بالفـداء مثـل اسرى الـروم ، وامـا الضعفـاء والمساكـين فأمسكوهم لحسـد منهم» (٤١) .

تقدمت جموع العرب الى باب تونس لاكتساح القـيروان « فخرج اليهم العامة : منهم من يحمل السلاح ومنهم من بيده عصاً لا يدفع بها اضعف الكلاب ، فحملت عليهم فرسان العرب وتمكنت منهم سيوفهم ورماحهم ، فتساقطوا على وجوههم وجنوبهم ، وبطحوهم من حد افران الاجر الى هذا الباب ولم يبق الا من حصنه أجله ، ولم يتركوا على حي ولا ميت خرقة تواريـه .. وبقي خلق من الغرباء في المقتلة ، وجرح من الناس خلق كثـير ، ورأى الناس ما أذهلهم من قبيح الجراحات ، وكان هذا يوم مصائب وانكاد ونوب لـم ير الناس مثله في

(٣٩) البيان المغرب ١/٤٢١ .
(٤٠) البيان المغرب ١/٤٢٣ .
(٤١) البيان المغرب ١/٤٢٢ .

سائر الامصار في ما يضى من الاعصار وبات الناس في هم وغم[٤٢] .

واشار محيي الدين عبدالواحد المراكشي الى خرابها فذكر انها ظلت قائمة مزدهرة الى ان اخرج العرب آخر حكامهم تميم بن المعز بن باديس « فانتهبها الأعراب وخربتها فهي كذلك خراب الى اليوم (سنة ٥٦٢) فيها عمارة قليلة ، يسكنها الفلاحون وارباب البادية ، ويذكر أنه لما استولى عليها الخراب « تفرق أهلها في كل وجه ، فمنهم من قصد بلاد مصر ، ومنهم من قصد صقلية والاندلس ، وقصدت منهم طائفة عظيمة اقصى بلاد المغرب فنزلوا فاس فعقبهم بها الى اليوم »[٤٣] .

ويذكر ابن عذاري انه في زمنه، أي اخر المائة السابعة، ابتدأت بالعمارة[٤٣أ] غير انها لم تستعد مكانتها الاولى ، فيذكر الادريسي « فسلط الله سبحانه عليها العرب ، وتوالت الجوائح عليها حتى لم يبق منها الا اطلال دارسة وآثار طامسة ، وهي الآن في وقتنا هذا على جزء منها سور ، وولاة امورها العرب وهم يقبضون ما يتوفر من جباياتها ، وبها أقوام قليلون تجاراتهم يسيرة ومنافعها نزرة ، ومياهها قليلة وشرب اهلها من ماء الماجل الكبير الذي بها »[٤٤]

ويقول الحسن بن مهدي الوزان « وبعد أن خرب الأعراب القيروان أخذت في الوقت الحاضر تمتلىء بالسكان ولكن بكيفية بائسة ، فليس فيها الآن غير صناع فقراء اكثرهم يصبغون جلود الغنم والماعز ويبيعونها ملابس جلدية في مدن نوميديا التي لاتوجد بها الاقمشة الاوربية ، فهذه الحرفة لا تضمن لهم الا معاشا موقتاً بالاضافة الى أن ملك تونس يثقل كاهلهم بالضرائب ، وبذلك غدت معيشتهم ضنكا »[٤٥] .

ويلاحظ ان وثائق الجنيزا تذكر ان القيروان مدينة ضعيفة وفقيرة ، وبمجرد ان تصلها بضائع بكميات كبيرة فان هذه البضائع لاتباع[٤٦] .

(٤٢) البيان المغرب ٢٢٣/١ ــ ٢٤٣ .
(٤٣) المعجب في اخبار المغرب ٣٥٦ (طبعة مصطفى السقا) .
(٤٣أ) البيان المغرب ٢٩٤/١ . (٤٤) افريقية ٨٠ طبعة بيرين
(٤٥) وصف افريقيه ٩٠/٢
(٤٦) جوتيين : دراسات في التاريخ الاسلامي ٢٣٧ .

خطط العرب وتنظيمهم في القيروان

ليس من اليسير تقديم صورة شاملة لتنظيم خطط القيروان في العهود الاولى من تأسيسها ، لان هذا التنظيم تعرض لتطورات بسبب نقل قوات من القيروان الى مناطق اخرى في المغرب والى الاندلس ، وبتابل ذلك مجيء امدادات متتابعة من المشرق . ثم ان المؤلفين الذين كتبوا عن تاريخ هذه البلاد عنوا بذكر الحوادث السياسية والحربية ، ولم يعنوا كثيراً بذكر التركيب البشري للمقاتلة والقوات التي أسهمت في الحوادث ، وقصروا في ذلك على ذكر اسماء بعض البارزين واسهاماتهم في الحوادث ، أما كتب الرجال والتراجم فاكثر عنايتها بذكر العلماء الذين كان عدد البارزين المذكورين فيها محدوداً ، والعناية في اختيارهم ترجع الى اسهاماتهم في الحركة الفكرية ، والعدد الذي ذكرت المصادر انتماءهم القبلي قليل لا يؤمن جمعه تقديم صورة واسعة دقيقة لتنظيم اهل القيروان ، وخاصة العرب .

لم أجد في المصادر ذكراً للتعابير المألوفة في وصف تنظيم كثير من الأمصار العربية في المشرق مثل « الخطط » و « الأرباع » و « العرفاء » و « المناكب » بل حتى « الرؤساء » و « الأشراف » و « والسادة »[1] . ان النص الوحيد الشامل الذي وصل الينا هو ما ذكره اليعقوبي حيث قال « في مدينة القيروان أخلاط من قريش ، ومن سائر بطون العرب من مضر ، وربيعة ، وقحطان ، وبها أصناف من عجم البلاد البربر والروم وأشباه ذلك[1أ] ولا ريب في ان هذا النص مهم ، نظرا لما عرف به اليعقوبي من اهتمام بتسجيل الاحوال السكانية ، غير أنه مقتضب جدا ، كما انه لا يحدد حجم كل من هذه المجموعات ومواضع خططها .

أشار بعض المؤلفين عرضيا الى خطط بعض العشائر ومساجدها وألمحوا الى مواضعها مما له فائدة في تحديد بعض المعالم الخططية في

(١) انظر كتابنا : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .

(١ أ) البلدان ٣٤٨ .

القيروان فمما ذكر انه كانت للأنصار رحبة ومسجد وضع سنة ٤٧ بمحرس الأنصار قبل ان تخط القيروان[٢] وإن المحرس اختطه « رويفع بن ثابت الأنصاري » ولم يزل العلماء والأبدال يتناوبونه ويعرفونه ، وله بركات مشهورة[٣] ، وقد خرب المسجد فعمره يوسف بن حسون بعد خرابه[٤] .

وبمحرس الأنصار أيضا مسجد اسماعيل بن عبيد الأنصاري وهو المسجد المعروف بمسجد الزيتون ، وهو المسجد الكبير قبلي الجامع[٥] . ويروي ابن الدباغ ان مسجد الانصار اختطه رويفع وهوافضل مساجد القيروان واقدمها[٦] .

ووردت اشارات الى خطط في القيروان وأطرافها لعددمن العشائر اليمانية والمضرية .

فكانت للمعافر قرية فيها مسجد بقرب قابس[٧] .

والصدف قرية على خمسة أميال من القيروان[٨] .

وللحضرميين بلد كان فيها رباح ، وكان من شيوخها خنفر[٩] وكان لولد عاشور اليحصبي فيها مطمور شعير[١٠] .

ولليحصبيين حارة نسب اليها ابو علي اليحصبي وابوه من البلدين[١١] . وذكرت البلوية مقبرة دفن فيها الحسن بن محمد ، وابو زمعة البلوي[١٢] ، ولهم قلة بباب تونس[١٣] .

وكانت منازل الفهريين في الاطراف الشمالية من الجامع[١٤]

---

(٢) معالم الايمان ١/ ١٣٦ .
(٣) معالم الايمان ١/ ٢٧ .
(٤) معالم الايمان ١/ ١٠٢
(٥) رياض النفوس ١/ ١٠٧
(٦) معالم الايمان ١/ ١٢٥
(٧) معالم الايمان ٣/ ١٦٩ .
(٨) ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٣٧٥
(٩) معالم الايمان ٤/ ١٠٨ .
(١٠) معالم الايمان ٤/ ٢٠٩
(١١) الحلل السندسية ١٥٠
(١٢) معالم الايمان ١/ ٩٨
(١٣) ابو العرب ٧٧ ؛ رياض النفوس ٣/ ٥٥ .
(١٤) البكري ٤٨ .

وللقرشيين رحبة فيها مسجد[١٥]. ولهم مقبرة في باب سلم دفنت فيها بنت لعبدالله بن عمر في اوائل تأسيس القيروان[١٦]، ولعل هذه المقبرة هي التي سمتها المصادر المقبرة العظمى في باب سلم[١٧].

المساجد الاولى : ـ

ذكر ابن الدباغ أن التابعين اختطوا ثلاثة مساجد هي مسجد ابن عبدالرحمن الحبلي، ومسجد حنش الصنعاني، ومسجد علي بن رباح اللخمي وانشأوا ايضاً مسجد السبت، ومسجد الخميس، ومسجد عبدالله[١٨].

فأما مسجد عبدالرحمن الحبلي فكان بدرب أزهر قرب باب تونس، ويسمى مسجد الرياض، وظل عامراً الى زمن ابن الدباغ، وكان يقع في الدرب المعروف باولاد عنبة[١٩].

وأما مسجد حنش الصنعاني فكان بباب الريح، وهو مسجد ابن اسحاق السبأي، وصار فيما بعد يدعى مسجد علي[٢٠].

وعند الدمنة مسجد السبت وهو يلاصق السور القديم من الجبلي، وصار فيما بعد بمسجد الغربي.

ذكر ابن الدباغ اسماء عدد من الصحابة والتابعين ممن نزل القيروان واقام بها دائمياً أو مؤقتاً. وممن ذكرهم : من الأنصار (١) كعب بن عمرو، (٢) وفضالة، (٣) ورويفع (٤) وجبيلة الساعدي، ومن قريش (٥) عبدالله ابن عمر (٦) عبدالله بن العباس، (٧) وعبدالله بن الزبير، (٨) وعبدالله بن سعد ابن ابي سرح، (٩) والمسيب بن حزن المخزومي، (١٠) ومعاوية بن حديج، (١١) وحبيب بن ارقم البدوي.

---

(١٥) ابو العرب ٧١، رياض النفوس ١/٥٥.
(١٦) ابو العرب ٧٨؛ معالم الايمان ١/١٨٥.
(١٧) ابو العرب ٥٣.	(١٨) معالم الايمان ١/٢٨ ـ ٣٠.
(١٩) معالم الايمان ١/٣٠ ـ ٣١.	(٢٠) معالم الايمان ١/٢٨.

ومن اهل الحجاز (١٢) عمرو بن عوف المزني (١٣) سلمة بن الاكوع المزني ، (١٤) وبلال المزني (١٥) وابو ذر الغفاري (١٦) وحمزه الأسلمي ، (١٧) وعبدالله بن أنيس الجهني (١٨) وعقبة بن عامر الجهني (١٩) والمقداد ابن عمرو البهراني .

ان هذه القائمة تشمل البارزين من الصحابة والتابعين ، وهي قد تشير الى العشائر التي شاركت في الفتوح وتأسيس القيروان ، الا أنها قائمة قصيرة غير مستوعبة ، علما ان كثيراً منهم لم يختط في القيروان او يستقر مقامه فيها .

وذكر ابن الدباغ كذلك واحداً وعشرين رجلاً ممن دفنوا في باب سلم ، والعشائر التي ينسب اليها كل منهم ؛ وهذه الاسماء تشير الى العشائر الاولى التي استوطنت القيروان ، علما ان القائمة غير مستوعبة .

قريش[١] يحيى بن محمد[٢] ابراهيم بن يوسف .

الأنصار[٣] مروان بن محمد[٤] علي بن محمد مدلج[٥] محمد بن احمد

نصر[٦] محمد بن الطيب .

غنم[٧] سعيد بن محمد[٨] احمد بن خليل .

تميم[٩] غانم بن مسرور[١٠] ابو العرب[١١] محمد بن مسعود[١٢]

عتيق بن اسحاق المعاضمر[١٣] ، محمد بن خيرون[١٤] ابراهيم بن حسن .

غافق[١٥] احمد بن موسى[١٦] ابو القاسم بن عبدالرحمن .

الازد[١٧] محمد بن أبي داوود[١٨] احمد بن موسى .

زويلة[١٩] محمد بن الحسن[٢٠] احمد بن ابي بكر .

لواتة[٢١] محمد بن ابي موسى[٢٢] .

مذكورون في « معالم الايمان » بالتتابع :

(١) ٣/٢٥٢ . (٢) ٤/١٠٤ . (٣) ٣/٦٠ . (٤) ٣/٢١٥ .
(٥) ٤/٤٥ . (٦) ٢٤/٢٣ . (٧) ٢/٢١٥ . (٨) ٣/٢٢٦ .
(٩) ٢/٢٧٨ . (١٠) ٢/١٢٦ . (١١) ٣/٦٧ . (١٢) ٣/٢٤ .
(١٣) ٢/٢١٥ . (١٤) ٢/٢٢٧ . (١٥) ٢/١٩٧ . (١٦) ٣/٣٨٩ .
(١٧) ٢/١٩٧ . (١٨) ٢/١٠٤ . (١٩) ٣/١٣٠ . (٢٠) ٣/١٦٢ .
(٢١) ٣٠/١٩٨ .

البربر :-

كانت غالبية سكان شمالي افريقية من البربر ، وهم قبائل متعددة ، ولم تكن علاقاتهم طيبة مع الروم ، ولعل هذا من أهم عوامل عدم تحمسهم في مقاومة العرب ، ثم في اقبالهم على اعتناق الاسلام والانضمام الى جيوشه منذ زمن مبكر ، وكان أغلب البربر من في منطقة القيروان من لواتة ونفزاوة ونفوسة[1].

واول ذكر لاتصال البربر بالمقاتلة المسلمين يرجع الى زمن ولاية عقبة بن نافع حيث يذكر النويري انه عندما تقدم عقبة انسحب البربر وأخذ عقبة من أسلم منهم وضمهم الى الجيش الوارد عليه[2] وعندما تقدم عقبة موغلاً في بلاد المغرب سنة ٦٩هـ خلف زهير بن قيس البلوي ومعه نفر كبير من البربر عدتهم ألفين ، ومن العرب أربعة آلاف[3] .

ويقول ابن عبدالحكم ان عقبة بن نافع عندما تقدم الى الاوراس ابقى في القيروان عمر بن علي وزهير بن قيس ، خالفه رجل من العجم في ثلاثين الفاً[4] وقد يفهم من هذا الكلام ان هؤلاء الثلاثين ألفاً لم يكونوا منذ البدء مع العرب ، أو أنهم كانوا مع العرب ثم انشقوا عليهم .

وعندما أسس عقبة بن نافع القيروان أسلم بعض البربر[5] ولما تقدم حسان بن النعمان الغساني لقتال الكاهنة « كان مع حسان جماعة من البربر من البتر يقال لهم العتم فولى عليهم الأكبر من ولد الكاهنة واكرمه وقربه[6] من البتر .

ولما دحر حسان الروم واستأمن البربر اليه لم يقبل أمانهم حتى يعطوه من جميع قبائلهم إثني عشر ألف فارس يكونون مع العرب برسم الجهاد ، فأجابوه

(١) حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ٢٨٤ .

(٢) نهاية الارب ١٦٨ (المخطوط) .

(٣) رياض النفوس ١٩٩/٩ .

(٤) ابن عبدالحكم ١٩٨ .

(٥) اسد الغابة ١٨١/٢ . (٦) ابن عبد الحكم ٢٠١ ، معالم الايمان ٦٥ .

الى ذلك، وأسلموا على يديه ، فعقد لولدي الكاهنة بعد اسلامهما ، لكل واحد منهما ستة الآف فارس من البربر ، وجعله واليا عليهم ، وأخرجهم مع العرب يفتحون افريقية ويقاتلون الروم ومن كفر من البربر ، فمن ذلك صارت الخطط بافريقية للبربر ، فكان يقسم الفيء والارض بينهم ، فحقت طاعتهم له واذعنت له افريقية ، ودون الدواوين[٧] ووضع الخراج على عجم افريقية وعلى من اقسام معهم على النصرانية، وعامتهم من البرانس الا قليلاً من البتر[٨] . وكان جيش طارق بن زياد الذي عبر الى الاندلس اثني عشر الف فارس[٩] ، وهو العدد الذي جعله عليهم حسان بن النعمان .

وفي زمن خلافة عمر بن عبدالعزيز ولي اسماعيل بن عبدالله الانصاري افريقية ، فعمل على نشر الاسلام فيه[١٠]، ثم اعقبه اسماعيل بن ابي المهاجر لعمر بن عبد العزيز ايضاً وكان « مازال حريصاً على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلم بقية البربر بافريقية على يديه[١١] .

ولما ولي يزيد بن ابي مسلم افريقية سنة ١٠١ هـ أخذ موالي موسى بن نصير من البربر فوشم أيديهم ، وخمسهم أخماساً ، وأحصى أموالهم وأولادهم ثم جعلهم حرسه وبطانته « وكان حرس يزيد بن أبي مسلم حين قدم البربر ليس فيهم الا بتري ، وكانوا هم حرس الولاة قبله ، ليس فيهم من البرانس[١١] « وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيباً : انى رأيت أن أرسم حرسي في ايديهم كما تصنع ملوك الروم في حرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره الحرس ، ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس » غير أن هؤلاء الحرس استاؤوا من ذلك وقتلوه[١٢] .

---

(٧) رياض النفوس ١٧٤/١ ؛ معالم الايمان ٦٧/١ .
(٨) ابن عبدالحكم ٢٠١ .
(٩) ابن عبدالحكم ٢٠٤ ، فتوح البلدان ١٣٤ ؛ البيان المغرب ٤٦/١ ؛ ابن الرقيق ٦٤ .
(١٠) البيان المغرب ٤٥/١ .
(١١) ابن عبدالحكم ٢١٤ . (١٢) ابن عبدالحكم ٢٠٤ ؛ البيان المغرب ٤٩/١

والبرانس مجموعة من القبائل البربرية ، مواطنها في جبال اوراس ، اما البتر فكانت مواطنهم الاولى في ليبيا ، وابرز عشائرهم لواتة ، ونفوسة ، ونفزة[13] .

ولابد من ان عدداً من البربر استوطن القيروان منذ أول تأسيسها ، والراجح أن عدداً منهم سكن قرب دار الامارة حيث كانوا حرس الوالي[13] ؛ كما أن اعدادا منهم من غير الحرس سكنت القيروان وكان بعضهم في العطاء ، واخرون يعملون في السوق ، ولكن لاتوجد اشارة الى قطاع خاص سكنوه في القيروان .



* * *

---

(١٣) ابن عبدالحكم ٢١٤ .

(١٣) انظر : دائرة المعارف الاسلامية . مادة (بربر) (البتر) (البرانس) وانظر تفاصيل أوفى في تاريخ ابن خلدون .

(٢) المعالـم الخططية والعمرانية

السـور : ـ

يقول البكري « كان للقيروان في القديم سور طوب سعته عشرة أذرع ، بناه إبن الاشعث بن عقبه الخزاعي سنة أربـع وأربعين ومائة ، وهو أول قائد دخل افريقية للمسودة (العباسيين) .

وكان في قبليه باب سوى (!) الأربعة وهو بين القبلة والمغرب ، وبين القبلة والمشرق باب أبي الربيع ، وفي شرقيه باب عبدالله وباب نافع ، وفي جنوبيه باب أصرم وباب سلم . فهدم هذا السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بأبي الكبير سنة تسع ومائتين لما قام عليه أهل القيروان مع المنصور المعـروف بالكيلاني ، فلما تقدم الى القيروان يوم الاربعاء للنصف من جمادى الاولى من تلك السنة وخرج أهل القيروان الى زيادة الله فرغبوا في العفـو والصفح عنهم هدم سور القيروان عقوبة لهم[١] .

وذكر ابن عذاري أن ابن الأشعث أمر ببناء سور لقيروان في ذي القعدة من سنة ١٤٤هـ ، وتم البناء في رجب سنة ١٤٦هـ[٢] .

ويقول اليعقوبـي ان القـيروان كان عليها سور من لبـن وطوب فهدمه زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب[٣] ، ويقـول ابن عذاري ان ابا حاتم الاباضي احرق أبواب القيروان وثلم سورها ودخلها وأخرج أكثر أهلها الى الزاب[٤] .

ويتابع البكـري كلامه عن السـور فيقـول (ثم بنـاه المعز بن باديس الصنهاجي سنة ٤٤٤هـ ، وبلغ تكسيره اثنين وعشرين ألف ذراع . وجعل السور

(١) المسالك ٢٤ ـ ٢٥ ، وانظر رياض النفوس ٢٧٠/١ ، ٢٨٦ ، الحلة السيراء ٦٩/١ وتجدر الملاحظة انه في قريب من هذا الزمن بنيت بغداد وعليها سور ، كما بني سور حول كل من الكوفة والبصرة .

(٢) البيان المغرب ٨٤/١ ، ٨٥ ؛ الكامل لابـن الاثير ٢٢/٦ ؛ تاريخ المغرب لسعد زغلول ٦١/٢ .

(٣) البلدان ٣٤٧ . (٤) البيان المغرب ٩٠/١ .

مما يلي صبرة ، وللفصيل حائطان يتصلان الى مدينة صبرة ، وبينهما نحو نصف ميل ، سبيل التاجر ان اراد ان يدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس الا بعد جوازه على مدينة صبرة .

وللمدينة اليوم اربعة عشر بابا منها المذكورة ، وباب النخيل والباب الحديث ، والفصيل بابان ، وباب الطراز والباب الحديث وباب الثلاثين وباب ابي الربيع وباب سحنون الفقيه[٥] .

لم اجد في المصادر ذكراً لغير باب ابي الربيع مما يدل على اندثارها ، ويبدو أن سور ابن باديس هو غير السور القديم الذي احتفظ بأسماء أبوابه ، غير أنه لاتوجد معلومات توضح العلاقة المكانية بين السورين . وقد أشارت المصادر الى عدد من المعالم بقربه ، فذكر ابن الدباغ أن الفرافطة قرب سور البلد ، وفيها مسجد ابي عمران الفصاي ، وهو مسجد كبير[٦] . وان جبانة المرابط ابو يوسف الدهمان مجاورة لسور البلد من جهة الجوف[٧] .

كما يذكر أن في البلد برجاً يعرف ببرج بوسطلية[٨] ، وأن فيه مسجد أحمد بن عبدالرحمن الخولاني وهو مسجد كبير[٩] ويذكر عن مسجد أبي ميسرة لما بني السور المحدث أخذ منه شيء هو الآن في الشارع ، وتعرفه العامة بمسجد ابن غلاب ، وهو عن يسار الداخل من باب تونس[١٠] .

ويذكر ابن الدباغ : « سمعت من القرويين كلاماً متواتراً ان سور مدينة القيروان كان غير طويل ، فوقف الشيخ فيه وزاد حتى تحصن البلد كما اليوم ، والزيادة التي زادها من داخل البلد تظهر في وجه الحائط بقي بعضها دائما وأن السور بلغ ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة[١٢] .

---

(٥) المسالك ٢٥ ،وانظر : بساط العقيق لحسن حسني عبدالوهاب ١٤ .
(٦) معالم الايمان ٣/٣ .
(٧) معالم الايمان ٤٣/٤ .
(٨) معالم الايمان ١٣٧/٤ .
(٩) معالم الايمان ٢١٢/٢ . (١٠) معالم الايمان ٣٠/١ .
(١١) معالم الايمان ٤٨/٤ . (١٢) معالم الايمان ١٠٧/٤ .

الابـــواب : ـ

ذكر المقدسي أن دروب القيروآن خمسة عشر ، سمى منها ثمانية هي درب عبدالله ، درب تونس ، درب أصـرم ، درب سلم ، درب نافـع ، درب سوق الأحد ، درب الحذائين[1] ، والـدروب الستة الأولى تطابق الأبواب التي ورد ذكرها في المصـادر . أما الدربـان الأخيران (درب سـوق الاحد ، ودرب الحذائين) فلم تذكـر المصـادر لها ابـواباً : ولعل هـذه الدروب كانت تمتد مـن الابـواب .

ونذكر أدناه المعلومات التي توفرت لنا عن أبواب المدينة .

بـاب عبدالله : ـ

نسب هذا الباب الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح لأنه نزل عنده،وكان عند نزوله فيه سبخة في شرقي القيروان ، فبنى عندهامسجداً أصبح يعرف بمسجد ابن أبي سـرح[2] ، أو مسجد عبدالله . وهـو أحد المساجد السبعة القديمة ، ثم اندرس الباب والمسجد وظل أثـره في البنوة التي بين كديـة القلائين وبين باب نافع[3] ولذلك لم يتردد ذكره في الأخبار .

وبـاب عبدالله مجاور لمقبـرة سحنون[4] وفي جهتـه يقع ماجـل أبي الزرود[5] والباب قرب باب نافع ، وقد وضـع عمر بن حفص عسكره بين باب نافع وباب عبدالله[6] .

بـاب نافـع : ـ

كان باب نافع وباب عبدالله يقعان في الجهة الشرقية من القيروان[7] ومن المعالم العمرانية عند هذا الباب دار علي بن ربـاح اللخمي ومسجده الذي يقع على يمين الخارج قبل أن يخرج[8] وهو مـن المساجد القديمـة ، وكان فيه

(١) احسن التقاسيم ٢٢٥ . (٢) رياض النفوس ٦٧/١ معالم الايمان ١٣٧
(٣) رياض النفوس ٧٣/١ ، معالم الايمان ٣٣/١ .
(٤) معالم الايمان ١٣٧/١ . (٥) رياض النفوس ٢٦٧/٢
(٦) الرقيق ١٣٤ . (٧) المسالك للبكري ٢٥ .
(٨) رياض النفوس ٣١/١ ، ٧٧ ، معالم الايمان ٣١/١ .

مصلى[٩] وفي ناحيـة هذا الباب دار زيـاد بن أنعم الشعباني ومسجده[١٠]، وكذلك دار عبدالرحمن بن زياد الشعباني ومسجده[١١] وبين باب نافع وكدية الثلاثين مسجد عبدالله[١٢] .

بنى عبدالله المغربي على باب نافع فصيلاً حنظاً للبلد وملجأ لمن يأتي ليلا الى المدينة من القوافل وغيرها ، وجعل فيه مسجداً مسقفاً مصاناً بالغلق ؛ وفي قبليه ميضأة كبيرة لغسل الموتـى ، وحبس عليها ايضـا حانوتـا برسم ما تحتاج اليه الميضأة المذكورة[١٣] .

وعند باب نافع مقبرة[١٤] أبرز من دفن فيها البهلول[١٥] ، وكان في قبلة قبره حوض فيـه ربـاح[١٦] ، وعنده قبر يحيى بن زكريـا النجيبي[١٧] وذكر ابن الدباغ ممن دفن في مقبرة باب نافع كل من (١) سعيد بن محمد بن سحنون (٢) عبدالله بن حسـان اليحصبي (٣) داوود بن يحيـى العراقي (٤) محمـد بن ابراهيم بن عبدالله بن عبدوس (٥) اسحاق بن ابراهيم بـن عبدوس (٦) احمد ابن أبي سليمان الرجبـي (٧) يحيى بن عون الخزاعـي (٨) خماس بن مروان العبـدي (٩) إسحاق بن إبراهيـم الأزدي (١٠) ابراهيـم بن محمد السبأي (١١) خلف بن منصور القلال (١٢) أحمد بن محمد النجار (١٣) محمـد بن عبدالله القصراني (١٤) يحيى الدباغ (١٥) عبدالله بـن غانـم (١٦) محمود بن سعيد وابنه محمد[١٨] .

---

(٩) رياض النفوس ٢٢٠/١ . (١٠) رياض النفوس ١٢٩/١ .

(١١) معالم الايمان ١/ . (١٢) معالم الايمان ٣٣/١ .

(١٣) معالم الايمان ٤٩/٤ ، ٢٩ ، وانظر : تاريخ افريقيـة فـي عهد الحفصيين لبرنشفيك ٣٩٥ وفيه تفاصيل عن الاحوال في العهود المتأخره .

(١٤) معالم الايمان ٢١٦/٣ (١٥) معالم الايمان ٢٢/١ ، ٦٨ ، ١٣٢/١ .

(١٦) معالم الايمان ٢٦٢/١ . (١٧) معالم الايمان ٣٢١/١ .

(١٨) مذكورون بالتتابع في معالم الايمان (١) ٣/٢ (٢) ٤٠ (٣) ٨٨/٢ (٤) ٩٤/٢ (٥) ٩٩/٢ (٦) ١/٢ ٤ (٧) ٢/ ١٦٦ (٨) ٢/ ٢٦٦(٩) ، ٢٢٩(١٠) ، ٩٢/٢ (١١) ، ٢٢/٣ (١٢) ، ١٦٣/٣ (١٣) ، ١٦٤/٣ (١٤) ٢١٣/٣/٣ (١٥) ٧٩/٣ (١٦) ١٧٤/٣ .

بــاب تونــس :ــ

تردد ذكر باب تونس في المصادر التاريخية والجغرافية اكثر من أي باب آخر [1] ويدل اسمه على انـه كان باتجاه تونس أي فـي الاطراف الشرقية وكان عنده فصيل [2] .

كان عند باب تونس مسجـد أبي ميسرة ، وهـو احد المساجـد السبعة القديمة الفاضلة، وهو عن يسار الداخل من باب تونس، وكان في زمن ابن الدباغ يعرف بمسجد أبي غـلاب « وداره هي التي تعـرف بدار الشيخ العـدل ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن غلاب المسراقي [3] ولما بني السـور المحدث اخذ منه شيء صار في الشارع » [4] .

وعند باب تونس درب أزهر وفيه مسجد عبدالرحمن الحبلي الذي صار يسمى الرباطي الكائن بالدرب المعروف بأولاد غيث [5] ، وبقرب درب أزهر دار ابي عبد الرحمن المعافـري ومسجده المسمى مسجد الرياض ، وكـان الناس يسمونه مسجد أولاد رحمة [6] .

وفي جهة باب تونس تقع رحبة بني دراج [7] وبقربه يقع الفحص [8] .

ومن المعالم البارزة في باب تونس آبار حديـج ، وهي منسوبة الى معاوية ابن حديج ، وكان معاوية بن حديج قد اختط مدينة عند القرن قبل تأسيس عقبة للقيروان ، وأقام بها للغزاة بأفريقية ، وحفر آباراً عند باب تونس في ناحية الجبل عند منحرف للشرق بقرب مصلى الجنائز ظلت تسمى آبار حديج، غلب عليها اسم أبيه حديج وذلك قبل تأسيس القيروان [9] .

---

(1) معالم الايمان ٢/٤٨ ، ٧٧ ، ٤/٢٢١

(2) معالم الايمان ٢/٢٢٧ (3) معالم الايمان ٣/٥٤

(4) معالم الايمان ١/٣٠

(5) معالم الايمان ١/٣١

(6) معالم الايمان ١/١٤٢ ، ١٨٠

(7) رياض النفوس ١/٣٥ (8) معالم الايمان ٢/١٨

(9) رياض النفوس ١/٩٣ ، ولنظر ايضا ١/٣٠ ، معالم الايمان ١/٤٥ ، ١٤١

وفي باب تونس الماجل الذي بناه أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب وأنفق على بنائه ثلاثمائة ألف دينار ، وكان هذا الماجل يسمى في زمن ابن الدباغ « الفسقية » والماء الذي يجلب اليه من الوديان بالسد الذي يعمل حتى يصل الماء اليه ، فينتفع به أهل القيروان[١٠] . وقد بدىء ببنائه سنة ٢٤٥هـ وكمل سنة ٢٤٨[١١] .

وصف البكري هذا الماجل فقال « هو مستدير متناهي الكبر ، في وسطه صومعة مثمنة في أعلاها قصبة لرقبة مفتحة على أربعة أبواب على أحد عشر رجلا لا خلل بينهم كيلا يصل محط ، فاذا امتلاء الماجل كان ذلك (؟) وسطح هذه القصبة نحو ذراعين كان ابن الاغاب يدخل الى هذه القبة في مركب يسمى بالزلاج ، ويتصل بهذا الماجل في قبلية اقباء طويلة معقودة آراجاً على ازاج . وكان زيادة الله قد بنى على غربي هذا الماجل قصرا ، وبجوفي هذا الماجل مدخل لطيف متصل به يسمى الفسقية يدفع فيه ماء الوادي اذا جرى حتى ينكسر فيه شدة جريان الماء ثم يدخل فيه الى الماجل الكبير اذا ارتفع الماء في الفسقية قدر قامتين على باب بين الماجلين يسمى السرح ، وهذا الماجل عجيب الشأن ، غريب البنيان »[١٢]

وذكر الادريسي أن المياه بالقيروان قليلة « وشرب أهلها من ماء الماجل الكبير الذي بها ، وهذا الماجل من عجيب البناء لأنه مبني على تربيع وفي وسطه بناء قائم كالصومعة ، وذرع كل وجه منه مائتا ذراع وهو كله مملوء بالماء[١٣] .

ويذكر ابن الدباغ أنه في سنه جف الماء بالماجل وصار الناس في عطش

---

(١٠) معالم الايمان ٢/٢٩٧ ، وانظر ٢/٧٥ ، الحلة السيراء ١/١٦٤ .

(١١) البيان المغرب ١/١٤٨ .

(١٢) البكري ٢٦ ، وانظر مقال سودباك « المنشآت المائية في القيروان في زمن الاغالبة المنشور في حوليات معهد الدراسات الشرقية م ١٠ سنة ١٩٥٢ .

(١٣) الادريسي ٨

شديد « فشق عليه ماء الناس فيـه ، فلما كان بعد ذلك اتـى الوادي وامتلاء الماجل فخرج اليه الناس [١٤] وقد أنشأ منصور بن اسماعيل بـن يونس على الماجل مركباً سمي الزلاج في سنة ٣٢٩ [١٥] وبالقرب من الماجـل كانت جبانة باب تونس [١٦] ويبدو أن المقبرة كانت فـي شرقي الماجل ، فيذكر ابن الدباغ أن قبره بباب تونس على شفير الماجل الذي لا ماء فيه من جهـة الشرق بقرب جوطة الشيخ الحاج أبي العباس أحمد بن تهيب [١٧] .

وكانت بين الماجل ومقبرة بـاب تونس فسحة ذكر ابن الدباغ أنـه فيها صُلِّي علـى ابي عمر الفاسي . وذكـر عـدداً كبيراً ممـن دفن فـي باب تونس ، منهم (١) صدقة المؤذن (٢) ومحمد بـن أبي بكر الانصاري (ت٣٩٢) (٣) وعبدالرحمن بن عبدالله الخولاني (ت ٣٩٥ هـ) (٤) وعبدالواحد بن أبي الحسن الفاسي (٥) وعلي بن محمد المعافري (٦) وحرفون بن خلفون القريشي (٧) وعبد الباري بن حسـن التميمي (٨) وعبـد الرحمن بن كامـل الزعبي (٩) وأبو بكر بن عبدالرحمن الخولانـي (١٠) وأبو طاهر بـن احمد خولود (١١) وابنه ابو بكر (١٢) ومجيد الأنصاري (١٣) وعبدالسلام بن نصر الكندي (١٤) ومحمـد بن يوسـف الحسني (١٥) وعبـدالله بن محمـد الانصـاري (١٦) وعبدالرحمن بن علي الانصاري (١٧) وابراهيم بن عبدالسلام المـلاص (١٨) وعبدالله بن عبدالعزيز الهسلوي (١٩) وعلي بن عبد [١٨] .

---

(١٤) معالم الايمان ٣/٢٦١ .
(١٥) البيان المغرب ١/١٨٦ .
(١٦) معالم الايمان ٤/١٩ ، ٢١١ .
(١٧) معالم الايمان ٤/٨ ١ .
(١٨) معالم الأيمان ٣/١٧٨ (١٣) ورد ذكرهم في « معالـم الايمـان » بالتتابع (١) ٢/٢٥٩ (٢) ٢/١٥٩ (٣) ٣/١٦ (٤) ٣/ ١٦١ (٥) ٣/ ١٧ (٦) ٢/١٩٦ (٧) ٣/١٨٢ (٨) ٤/٢١ (٩) ٣/٢١١ (١٠) ٣/٢١٣ (١١) ٣/١٥ (١٢) ٣/١٥٩ (١٣) ٤/١٧ (١٤) ٤/١١٩ (١٥) ٤/٢٠ (١٦) ٤/٩٢ (١٧) ٤/٩٧ (١٨) ٤ / ١٠١ (١٩) ٤/١٣٦ .

باب ابي الربيع :

ذكر ابن الدباغ أن باب ابي الربيع بالقرب من باب تونس[1]، وانه في قبلة القيروان[2]، وذكر البكري أن باب أبي الربيع بين القبلة والمغرب[3] وهو على الطريق بين القصر القديم والمسجد الجامع[4]، ومنه طريق يمر الى دار الامارة والسماط[5] وبينه وبين المسجد الجامع مسجد المقرعة[6]. ولم اجد في المصادر إشارة الى ابي الربيع الذي سمي الباب به. وكان عند هذا الباب ماجل أبي الربيع وهو «الفسقية الكائنة بقبالي القيروان، فيهـا يصدع وتهدم يسير[7].

وفي جهة باب الربيع بنى زيادة الله بن الأغلب قنطـرة[8] وفي جهته يقع وادي القصارين[9] والمروحار[10].

وعبد باب الربيع مقبرة ذكر ابن الدباغ ممن دفن فيها (١) زيد بن سفيان الاسدي (٢) عبدالله بن سهل القيرواني (٣) محمد بن شوال الطائي (٤) سهل بن عبدالله القيرواني (٥) محمد بن سعيد بن حاسون (٦) احمد بن أبي خالد الدباغ (٧) علي بن محمد الغساني (٨) أحمد بن اسماعيل (٩) محمد بن مسرور العسال (١١) زياد بن يونس اليحصبي[11]

---

(١) معالم الايمان ٢/٧٤، ١٧٧

(٢) معالم الايمان ٢/٩٧، ١٨٢.

(٣) المسالك ٢٥.

(٤) البيان المغربي ١/٦٤٧.

(٥) معالم الايمان ١/٢٢٤.

(٦) رياض النفوس ١/٣٩٨.

(٧) معالم الايمان ٢/٩٧ — ٩.

(٨) رياض النفوس ١/٣٠٨.

(٩) رياض النفوس ١/٣٣٥.

(١٠) رياض النفوس ١/٤٦١.

(١١) مذكورون في معالم الايمان على الترتيب (١) ٢/٧١، (٣) ٢/٩/٢ (٩) ٢٢٤ / ١٣١ (٥) ٢ /٢٤٩، (٦) ٢١/٢٢٦ (٧) ٢/٦٥ (٨) ٢ /٦٨ (٩) ٣ /٧٤ (١٠)، ٩٧٩٣ (١١) ٣/٩٨.

وخلف باب الربيع كان يصلي روح بن حاتم ؛ وعسكر فيه تمام بن تميم عندما ثار[١٢] .

وفي ناحية باب ابي الربيع اليهودية[١٣] وبقربها سوق اليهود[١٤] وعندها صلب محمد بن اسحق الجبلي سنة ٣٤٣هـ[١٥] .

باب الريح : -

ذكرت بعض المصادر باب الريح ، وكان في ناحيته دار ومسجد حنش بن عبدالله الصنعاني[١٦] ، وهو قريب من الفحص[١٧] . ولم اجد معلومات اخرى عنه .

باب اصرم : -

ذكر البكري ان باب سلم وباب أصرم في غربي السور[١٨] ، وذكر الرقيق أن عمر بن حفص عندما قدم لدخول القيروان وضع عسكره بين باب سلم وباب أصرم[١٩] ، ولما دخل حسن الكندي القيروان ثائراً على الاغلب خرج هذا من باب اصرم[٢٠] وذكر ابن الدباغ ان الريحانية عند باب اصرم[٢١] ، ولم يتردد ذكر باب أصرم في الأخبار .

---

(١٢) تاريخ الرقيق ٢٠٥ .
(١٣) رياض النفوس ١٥٠/٢ .
(١٤) رياض النفوس ١٣٩/١٠ وانظر أيضا ٩٤/١ ، معالم الايمان ٢٦/٢
(١٥) معالم الايمان ٤٩/٣ .
(١٦) رياض النفوس ٢١٢١/١ معالم الايمان ١٤/١ .
(١٧) معالم الايمان ٨٨/٢ .
(١٨) وصف افريقية ٢٥ .
(١٩) الرقيق ١٤٤
(٢٠) الحلة السيراء ٧٠/١ .
(٢١) معالم الايمان ٣/ ١١ ، وانظر ١٦٩/٣

باب سلم :

تردد ذكر باب سلم لوجود مقبرة قربه وصفها أبو العرب بأنها « المقبرة العظمى »[٢٢] ، وسميت جبانة أسلم ، وهي الجبانة الغربية[٢٣] ، « وهي المقبرة العظمى نحو باب سلم دفن فيها من العلماء والصالحين عدد لا يحصيهم الا الله »[٢٤] . ولا بد من انها هي التي ذكر في تعليق على معالم الايمان ، باب اسلم مقبرة قريش[٢٥] وهي المعروفة الان بالجناح الاخضر ومن ابرز من دفن فيها إبنه عبدالله بن عمرج[٢٦] ويزيد بن حاتم واخوه روح « وكانت على قبريهما سارية مكتوب فيها اسماهما[٢٧] ، كما دفن فيها الفقيهان المشهوران البهلول وشقران »[٢٨] .

وممن دفن فيها (١) ابو محرز (٢) ويحيى بن سلمان الفارسي (٣) وسعيد ابن عباد السرتي (٤) وسليمان بن عمران (٥) واحمد بن موسى بن جرير الازدي (٦) وعبدالله بن خليل (٧) ومحمد بن زرقون (٨) واحمد بن يزيد المعلم (٩) وأحمد بن السلطان (١٠) وعبدالله بن محمد الاشبح (١١) واحمد بن موسى الغافقي (١٢) ومحمد بن مسرور الضرير (١٣) وابو بكر بن هذيل (١٤) وجبلة ابن حمودة (١٥) ومحمد بن ابي داوود الازدي (١٦) ومحمد بن خيرون المعافري

(٢٢) ابو العرب ١٨ ، معالم الايمان ٦/١ .

(٢٣) معالم الايمان ١٤٩/٣ ، ١٦٧/٤ ، ١٧٣ ، ٢٥٩ .

(٢٤) رياض النفوس ٨٨/٦ ، معالم الايمان ٦/١

(٢٥) معالم الايمان ٨٣/١ ، ٣٩/٢ .

(٢٦) معالم الايمان ١٤٢/١ .

(٢٧) الرفيق ١٣٦ ، الحلة السيراء لابن الابار ٣٥٨/٢ .

(٢٨) رياض النفوس ١٣٢/١ ؛ ١٩؛ معالم الايمان ٢٦١/١ ، ٤١/٢ ، ٩١ ، ٨٧ .

(١٧) وسعيد بن محمد الغساني (١٨) ومحمد بن الطيب النصري (١٩) وهاشم ابن مسروز التميمي (٢٠) ومحمد بـن سليمان (٢١) واحمد بـن خليل الغساني (٢٢) ومحمد بن نصر الغنيمي (٢٣) وابو بكر بن بشـير المعلم (٢٤) وميمون ابن عمرو (٢٥) وابو جعفر القصـري (٢٦) وعبد الوهـاب بن عبد (٢٧) وابو العـرب التميمـي (٢٨) ومحمد بن الفتـح المـؤذن (٢٩) وحمـدان بن نزار (٣٠) ومروان بن نصر الانصاري (٣١) وعلي المـؤدب (٣٢) ومحمد بن مسعود التميمي (٣٣) ومحمد بن الفتح (٣٤) والفضل بن نصر (٣٥) واحمد بن محمد (٣٦) ومحمد البرانسي (٣٧) وجعفر بن نصيف (٣٨) وابو الحسن بن نصر الزعفراني (٣٩) وعبدالله بن هشام (٤٠) وواصل بن عبدالله (٤١) ومحمد بـن الحسن الزويلي (٤٢) ومحمد بن الشيخ ابـو سعيـد (٤٣) وعبدالله الاجدابي (٤٤) وجابر بـن عبدالله (٤٥) واحمد بن ابي بكـر الزويلي (٤٦) ومحمد بن عبدالله بن حاتـم (٤٧) وابو الحسن بـن الساحلي (٤٨) وعبدالله بـن هاشم (٤٩) وابو الفضـل العراقي (٥٠) ومحمد بـن اللحام (٥١) وابو القاسـم بن عبد الرحمن الغافقي (٥٢) وحسـن بن خلدون البلوي (٥٣) ومحمد بـن ابي موسى الاواتي (٥٤) والحسن بـن عبدالله الاجدابي (٥٥) وعلي بن محمد م

المسجد الجامع

لا ريب في أن أقدم وأبرز المنشآت في القيروان هو الجامـع الذي كان عقبة بـن نافـع أول شيء أقامـه عند تأسيسـه القـيروان واقتـدى جميع المغرب بقبلته(١).

ويقول ابـن عذاري أن عقبـة اختط دار الإمارة والمسجد الجامـع ولم يحدث فيه بناء ، وكان يصلى فيه وهو كذلك(٢) وينقل المالكي عـن محمد بن

(١) معلم الايمان ١/١٠ ، ١١ ، ٤٧ . وانظر الدراسـة القيمة للدكتور احمد فكري عن جامع القيروان .
(٢) البيان المغرب ١/١٥

يوسف الوزاق أن عقبة اختط مدينة القيروان فتحول بها أياماً ، ثم قدم أبو المهاجر فعزل عقبة وقيده وحبسه ، وخرب ما كان خطه وبناه بالقيروان ، فاختط مدينة تاكروان ، وهي بجوفي افريقية على نحو ميلين ، وجد في بنائها وتشيدها ، ويذكر المالكي أيضاً أن عقبة عندما اعيدت ولايته جدد بناء القيروان وشيدها ونقل الناس اليها ، فعمرت وصلح شأنها وعلا قدرها[3] .

ذكر البكري التطورات التي حدثت على جامع عقبة فقال ان حسان بن النعمان هدمه ، حاشا المحراب ، وبناه وحمل اليه السارتين الحمراوين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلها ، من كنيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب ، ويقولون ان صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع ، فابتنوا الجامع بهما ، ويذكر كل من رآهما انه لم ير في البلاد ما يقترن بهما .

فلما كانت خلافة هشام بن عبدالملك كتب اليه عامله على القيروان يعلمه أن الجامع يضيق بأهله ، وان بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر ، فكتب اليه هشام يأمر بشرائها وأن يدخلها في المسجد الجامع ففعل ، وبنى في صحنه ماجلاً وهو المعروف بالماجل القديم بالقرب من البلاطات . وبنى الصومعة في بير الجنان ونصب أساسها على الماء ، واتفق أن وقعت في نفس الحائط الجوفي ، واهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون انه أكره أهل الجنة على بيعها . والصومعة اليوم على بنائها ، طولها ستون ذراعاً وعرضها خمسة وعشرون ، ولها بابان شرقي وغربي ، وعضادتا بابها رخام منقش ، وكذلك عتبتها ، فلما ولي افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس وخمسين ومائة ، هدم الجامع كله حاشا المحراب وبناه واشترى العود الأخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه ، وهو الذي كان يصلي عليه القاضي أبو العباس بن عبدون . فلما ولي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب هدم الجامع كله وأراد هدم المحراب ، فقيل له

(٣) معالم الايمان ٤٧/١ ، وانظر رياض النفوس ٢٢/١ وأنظر تفاصيل وافية عن تطور بنائه في « الحلة السيراء » ١٦٣/١ .

ان من تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه ، فلج في هدمه لئلا يكون في الجامع أثر لغيره حتى قال بعض البناة انا ادخله بين جائطين ولا يظهر في الجامع أثر لغيرك ، فاستصوب ذلك وفعله ، فهو على بنائه الى اليوم . والمحراب كله وما يليه مبني بالرخام الأبيض من أعلاه الى أسفله مخرم منقوش كلـه ، منه كتابة تقرأ ومنه تدبيج مختلف الصناعة يستدير به أعمدة رخام في غاية الحسن .

والعمودان الأحمران المذكوران يقابلان المحراب ، عليهما القبة المتصلة بالمحراب ، وعدد ما في الجامع من الأعمدة أربعمائة وأربعة عشر عموداً .

وبلاطاته سبعة عشر بلاطا ، وطوله مائتان وعشرون ذراعاً ، وعرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وكانت فيه مقصورة ، فلم يزل بناء زيادة الله فيه .

والمقصورة اليوم انما هي دار بقبلي الجامع ، بابها في رحبة التمر ، لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد أن ينزل في هذه الدار حين تقرب الصلاة .

وبلغت النفقه في بنيانه ستة وثمانين الف مثقال . ولما ولي ابراهيم بن أحمد بن الأغلب زاد في طول بلاطات الجامع ، وبنى القبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط المحراب ، وفي دورها اثنان وثلاثون سدبة من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصناعات مختلفة . وقد فرش للصحن بين ايدى البلاطات نحو خمسة عشر ذراعاً ، وللجامع عشرة أبواب ومقصورة للنساء في شرقيها ، وبينها وبين الجامع حائط اخر مخرم محكم العمل[٤] .

ذكرت المصادر ما يؤيد ما ذكره البكري ، فنقل ابن الدباغ أن حسانا « قدم القيروان فامر بتجديد بناء المسجد الجامع فبناه بناءاً حسناً »[٥] وذكر ابن الابار ان حساناً هدم الجامع حاشا المحراب وبناه بالطوب[٥أ] ، وذكر المالكي أن في الجامع صومعة كانت في الركن الغربي ، ثم ازيلت بعد ذلك ، وجعلت في

(٤) المسالك ٢٢ - ٢٤ .

(٥) معالم الايمان ٦٧/١ (٥أ) الحلة السيراء ١٦٣/١

المكان الذي هي فيه إليوم[٦] وذكر أيضا أن الصومعة في مؤخرة الجامع كان يجلس فيها عكرمة[٧] ، وانه « كانت صومعة زياد في الناحية الشرقية »[٨] .

وروي الواقدي ان محمد بن الأشعث ولي افريقية للخليفة العباسي وسار الى مدينة القيروان وأسس مسجدها[٩] وهذا القول غير دقيق .

وذكر الرقيق أن يزيد بن حاتم جدد المسجد الجامع حتى قيل انه الذي مصرها وحسنها وزاد في قدرها[١٠] .

وذكر ابن العذاري أنه في سنة ١٥٧هـ جدد يزيد بناء المسجد الجامع بالقيروان[١١] وانه في سنة ٢٤٨هـ تمت الزيادة في جامع القيروان[١٢] .

وذكر ابن الدباغ ان زيادة الله بنى في جامع القيروان القبة الخارجة على البهو ، مع الصفتين اللتين يليانها من جانبيها جميعاً ، وبلاطها الذي بين يديها مفروش ، وعمل المحراب ، وجلبت له تلك القراميد اليمنية لمجلس أراد ان يعمل .. وجلب له من بغداد خشب الساج ليعمل له منها عيدان : عملها منبراً للجامع وجاء بالمحراب منفصلا رخاماً من العراق عمله في جامع القيروان ، وجعل تلك في وجهه المحراب ، وعمل له رجل من بغداد قراميد زادها اليها ، وبعث تلك الزينة العجيبة بالرخام والذهب والآلة الحسنة[١٣] ، وكان زيادة الله يفخر بهذه الزيادة ويعدها احدى مآثره[١٤] .

(٦) رياض النفوس ١/ ١٥ ، معالم الايمان ١/٣٠٠ .
(٧) رياض النفوس ١/٩٣ .
(٨) رياض النفوس ١/٩٣ .
(٩) معالم الإيمان ١/١١١ .
(١٠) الرقيق ١٠٩ ؛ وانظر الحلة السيراء ١/١٦٣ .
(١١) البيان المغرب ١/٩٥ .
(١٢) للبيان المغرب ١/٢٤٨ .
(١٣) معالم الايمان ١/٩٧ .
(١٤) معالم الايمان ٢/٢٦ ، رياض النفوس ١/٣٩٨ ؛ وانظر : الحلة السيراء ١/١٦٣ .

يقول ابن الابار ان زيادة الله « هو الذي بنى جامع القيروان بالصخر والاجر والرخام بعد إن هدمه ، وبنى المحراب كله بالرخام من اسفله الى اعلاه ، وهو منقوش بكتاب وبغير كتاب ، ويستدير به سورا حسان بعضها مجزعة باسود ناصعة البياض ، شديدة السواد ، ويقابل المحراب عمودان احمران وضعهما موشية بحمرة صافية،من دون حمرة سائرها يقول كل من رآهما من اهل المشرق والمغرب انه لم ير مثلها ، وقد بذل فيها صاحب القسطنطينية وزنهما ذهباً فلم يجبه الناظر للاسلام الى ذلك[١٥] .

كانت للجامع صومعة[١٦] مكانها في الركن الغربي ، ثم ازيلت بعد ذلك وجعلت في المكان الذي هي به اليوم[١٧].

أبواب الجامع والمعالم فيه : ـ

ذكر المقدسي ان جامع القيروان « في سرة البلد ، اكبر من جامع ابن طولون ، وله باب السماط ، باب الصرافين ، باب الزهادرة ، باب الفضوليين ، باب المأذنة ، باب الصباغين ، باب الحوارين ، باب سوق الخميس ، باب الميضأة ، باب الخاصة في الثمانين »[١٨] غير انه لم يحدد مواقع هذه الابواب ، وتدل تسميات الابواب على ان الجامع كان قرب السوق .

وذكر المالكي من أبواب المسجد باب الحدادين عند المصلى[١٩] ، كما ذكر انه كانت عند سواري المسجد قنطرة قرب الفحامين[٢٠] وذكر أيضا الباب الأخير من أبواب الجامع ، وهو يلي درب النهرين[٢١] .

---

(١٥) الحلة السيراء ١/١٦٣ .

(١٦) البيان المغرب ١/٤٠٧ .

(١٧) رياض النفوس ١/ ١٥ ، معالم الايمان ١/٢٩٩ — ٣٠٠ .

(١٨) احسن التقاسيم .

(١٩) رياض النفوس ٢/٣٤١ .

(٢٠) رياض النفوس ١/٢٨٨ .

(٢١) رياض النفوس ٢/٤٠٥ ، معالم الايمان ٣/٥٤٩-٦٦

وذكر ابن عذاري ان أبا الفتوح المنصور أمر في سنة ٣٧٥هـ بجعل ابواب جامع القيروان من حديد[٢٢] .

وذكر ابن الدباغ ان عبدالله بن عبد العزيز الهلكوي اتفق مالا كثيراً في جامع القيروان ، وبنى القبة العظمى التي على الباب الشرقي من ابواب البيت اقامها على عمد الرخام ، وشقق الرخام ، اشتمل اعلاها واسفلها على النحو اربعين عمودا ونيفاً ، اتفق عليها ما يزيد على الف دينار .

واجرى الحيار على اكثر مجنبات الجامع ، وكان قد تقلع حيارها .

وبنى الميضأة التي في قبلي الجامع الأعظم ، في غربي الموضع المعروف في القديم بدار الأمارة ودعمها تدعيما جيداً ، يقفها بالمربع المنجور ، وجعل لها أحواضاً من الحجر المنجور برسم الوضوء ، وبيوتا للطهارة فيها أحواض من خارجها ، وسعى في تحبيس حانوت عليها برسم تنويرها وما تحتاج الميضأة اليه من خصال واد التيم[٢٣] .

وفي مسجد القيروان كان مجلس القضاء[٢٤] .

وفي مؤخرة المنارة ، وفي غربها موضع الركينة ، وهم جماعة من الناس لا شغل لهم ، وكان الناس يدارونهم ويتقون ألسنتهم[٢٥] . وفي شماليه منازل الفهريين[٢٦] .

وعند المسجد دار ابن دينار[٢٧] ، ومسجد المقرعة وهو يقرب سماط القيروان[٢٨] .

---

(٢٢) البيان المقرب ١/٣٤٤ .
(٢٣) معالم الايمان ٤/٩٩ .
(٢٤) القضاة للخشني ٢١٩ ، معالم الايمان ٤/١٢٥ .
(٢٥) طبقات العلماء للخشني ٢٤٣ .
(٢٦) البكري ٢٣ .
(٢٧) معالم الايمان ٣/٦١ .
(٢٨) معالم الايمان ٤/١٨٢ .

مساجد في القيروان : ـ

ذكرت المصادر عدداً كبيراً من المساجد في القيروان مسماة بأسماء أشخاص منهم عدد قليل ذكرت العشيرة التي ينتمي اليها صاحب المسجد ، وأكثرهم لم تذكر تفاصيل عن هوية من سمى المسجد باسمه أو معلومات عن مواقعها أو أحوالها غير المساجد الاولى .

والمساجد التي ذكرت باسماء اشخاص ذكر انتسابهم القبلي هي :

١ ـ مسجد عبدالرحمن الحيلي بدرب أزهر قرب باب تونس ، ويسمى مسجد الرياض ، ويقع في الدرب المعروف بأولاد عنبة ، وكان قائماً في زمن ابن الدباغ .

٢ ـ مسجد حنش الصنعاني وموقعه بباب الريح وهو مسجد ابن اسحاق الباه ثم صار يدعى في ما بعد مسجد علي ، وهو على يمين المار بجبانة الشيخ ابي علي القابسي (معالم الايمان ٤/٢٣٧) .

٣ ـ مسجد علي بن رباح اللخمي .

٤ ـ مسجد عبدالله .

ان هذه المساجد الاربعة ، مع مسجد السبت ومسجد الخميس اختطها التابعون (معالم الايمان ١/٢٨ ـ ٣٠) .

٥ ـ مسجد ابن عبد الجليل الازدي (معالم الايمان ٤/٨١) .

٦ ـ مسجد ابن حضلة الغساني (رياض النفوس ١/١٣١) .

٧ ـ مسجد زياد الشعباني (رياض النفوس ١/٩٢) .

٨ ـ مسجد يعقوب بن خليفة الرهماني (معالم الايمان ٤/١٩٩)

٩ ـ مسجد احمد بن عبد الرحمن الخولاني وهو مسجد كبير قرب سور البلد بحارق القراقطة (معالم الايمان ٣/١٦٩) .

مسجد ابي علي حسن بن خلدون (معالم الايمان ٤/١٤٥) •
مسجد احمد بن سليمان (رياض النفوس ١/٥٠٦) •
مسجد البدوية (رياض النفوس ٢/٣٩٠) •
مسجد بلخ وكان فيه الميعاد (معالم الايمان ٤/١٤٢ ، ١٩٨) وصار
يسمى بعدئذ مسجد الدباغ (معالم الايمان ٢/١٣١) •
مسجد ابي بكر بن ابي عقبة (معالم الايمان ٣/٨٦) •
مسجد البهلول بن راشد (رياض النفوس ٢/٢٠٧ ، ابن ابي العرب ١٣٧) •
مسجد ابن بشار الزينبي (رياض النفوس ١/٣٦٣) •
مسجد التوفيق بالقرب من جبانة سلم (معالم الايمان ٤/١٠٢) •
مسجد ابن ابي حسان (رياض النفوس ١/٢٨٩) •
مسجد ابي الحكم (رياض النفوس ٢/٤٧٥) •
مسجد الحضريين (معالم الايمان ٤/٢٠٤) •
مسجد الخضر (رياض النفوس ٢/١٣٤٩) •
مسجد ابن حبرون (رياض النفوس ١/٤٣٠) المسجد الشريف •
والفنادق المجاورة للسجن (ابن عذاري ١/٢٣٥) •
مسجد الدباغ (معالم الايمان ٤/١٤٦ ، ١٨٩) •
مسجد ابي رحمة بن غيث خارج القيروان بجواره داره قبالة حمام ابي محمد
(معالم الايمان ٣/١١٤) •
مسجد الداروني (معالم الأيمان ٤/١٦٤) •
مسجد الزاوية (معالم الايمان ٤/٨٨) •
مسجد ابن زرجونة عنده دار ابي الحسن العقلى (رياض النفوس ٢/٣٠٤) •
مسجد السدزة (معالم الأيمان ٣/٨٥ ، ١٦٤) •
مسجد ابن سجنون (رياض النفوس ١/٤٣٦) •
مسجد الشعاب (رياض النفوس ٢/١٣٣ ، معالم الإيمان ١/٢٥١) •

مسجد عباس كان يؤذن فيه عزون المؤذن صاحب بحنون (معالم الايمان ٣/١٣) .

مسجد عبدالجبار (رياض النفوس ١/٤٦٤ ، ٤٧٥ ، معالم الايمان ٢/١٢٤) .

مسجد ابن عياش (رياض النفوس ٢/١٥٢) .

مسجد علي بن رباح (رياض النفوس ١/١١٩) .

مسجد عون بن يوسف (رياض النفوس ١/٢٧٥) .

مسجد ابي غانم (معالم الايمان ٣/٢١٩) .

مسجد فاطمة (رياض النفوس ١/١٥٦) .

مسجد ابن فهد (الرقيق ١٨٤) .

مسجد ابن قادم (القضاة للخشني ٥٥) .

مسجد القديد (معالم الايمان ٤/٢٣) .

مسجد ابن قطانية (رياض النفوس ٢/١٧٦ — ٧) .

مسجد الكناني (معالم الايمان ٤/١٨٠) .

مسجد المعلق (معالم الايمان ٤/١٥٠ ، ٢٠١) .

مسجد المترعة (رياض النفوس ١/٦/٣٩) .

مسجد ماسة (رياض النفوس ١/٤٠٠) .

مسجد نعمان من بني جزير (معالم الايمان ٤/١٨٠) .

مسجد ابي نصر (رياض النفوس ١/٣٣٦ ، ابو العرب ١٤٦) .

مسجد سمي بن عمر بحذاء حمام النعمان (رياض النفوس ١/٣٩٩ ، معالم الايمان ٢/١٢٤ ، ١٥٩) .

مسجد وكيع (رياض النفوس ١/٣٧٧ ، ٣٧٨) .

مسجد ابن اللحام (معالم الايمان ٣/٩١) .

السماط الاعظم : ـ

يتصل بالجامع السماط[1] ، ويسمى السماط الأعظم ، ويقول المقدسي « الجامع بموضع يسمى السماط الكبير وسط الأسواق في سرة البلد[2] ، طوله من باب أبي الربيع ميلين غير ثلث ، ومن الجامع الى باب تونس ثلثا ميل[3] ، وكان هشام بن عبدالملك قد أمر بترتيبه متصلا من القبلة الى باب الجوق[4] ثم شق ابراهيم بن الاغلب سماط القيعان من باب ابي الربيع الى دار الامارة .. قبلة المسجد[5] .

كان السماط سمطا متصلا فيه جميع المتاجر والباعة[6] ووصف المالكي بعض ما فيه من الصناعات ومواقعها فذكر ان السماط يمتد الى دار الامارة « ويأخذ من موضع السماط الى السقطيين والى الابزاريين الذي يقود الى دار ابي غانم التي تقع في زقاق ابن غانم[7] ، وعندها يقع دار ابن اسود[8] وزقاق السقطيين[9] ، ولعل بقرب السماط تقع حوانيت الخطاطين الواقعة بقرب القصر[10] ، والعطارين التي فيها دار كل من ابي بكر الوكيل[11] وابي سعيد الوكيل[12] .

وفي السماط تقع سقيفة المساكين[13] ، وبقربه تقع رحبة ابي داوود ودار ابن أسود ،وسوق هشام ، وبئرام عياض[14] .

---

(١) رياض النفوس ٣٠٦/١ ، معالم الايمان ٢٩/٢ .
(٢) احسن التقاسيم ٢٢٥ .
(٣) رياض النفوس ١٥٠/١أ .
(٤) المسالك ٢٢٥ .
(٥)
(٦) رياض النفوس ١٠٠/١ .
(٧) رياض النفوس ١٢٠/١ ، وانظر : معالم الايمان ٢٤٥/١ .
(٨) معالم الايمان ٢١٧/٣ .
(٩) معالم الايمان ٣٠٠/١ .
(١٠) رياض النفوس ٢٣٣/١ .
(١١) الخشني علماء افريقية ٣٧٥/٢ .
(١٢) الخشني ٢٢٩ .
(١٣) معالم الايمان ٤٤/٢ .
(١٤) معالم الايمان ٧٠/٣ .

الاســـواق :ـ

لم تذكر المصادر اسواقا في القيروان في المعلومات التـي اوردتهـا عن تأسيسها وما مرت بها من احداث في عهودها الاولى ، غـير أن الاحوال كانت تتطلب وجود أماكن لمعاملات البيع والشراء كيما تسـد حاجات المقاتلة ، حيث ان الدولة كانت تدفع عطاءاً من النقود للمقاتلة وهم معظم سكانهـا الاولين ، فكان عليهم شراء ما يحتاجونه من الغـذاء واللباس والسلاح ، ومـا تتطلبه بيوتهم التي يقيمون فيها ، وهذه الاحتياجات « شعبية » ومنوعة ، الا أنهـا لم تكن كبيرة ، وربما كان أكثرها يعتمد على ما ينتج في المناطـق المحيطة بها ، ولم تسمح الأحوال في هذا الزمن المبكر بقيام أسواق واسعة تعتمد على التجارات العالمية ، لأن موقع القيروان في داخل البلاد بعيداً عن ساحـل البحـر لم ييسر لها الاسهام في التجارة العالميـة ، كما ان التهديدات المتابعـة التي تعرضت لها كونت اسباباً اضافية لجمود التجارة الخارجية .

ولابد ان القـيروان كانت فيهـا أماكن تتزود منهـا الأهلون بحاجاتهم ، والراجح أن هذه الأماكن كونت أسواقا محلية غير مستقرة شـأن ماحدث في الامصار العربية التي انشئت في العـراق حيث كانت إعمال البيـع تجرى في ساحات يعرض فيها الباعة سلعهم دون ان يدفعوا عليها اجوراً ، وكانت تتبدل يوميا ، فاذا عرض شخص سلعته في مكان يوماً ما ، فانه قد يعرض آخر في ذلك المكان سلعته لان « السوق لمن غلب » .

ان الاستقرار العام في القيروان منذ ولاية حسان بن النعمان كان عاملا في استقرار الاسواق ونموها في القيروان .

ومن ابرز الاسواق الاولى سوق إسماعيـل ، نسبة الى منشئه اسماعيل بن عبيد الأنصاري[1] ، وهو يقع بجوار المسـجد الكبير الذي يعرف بمسجد

(۱) رياض النفوس ١/ ٧٠، ١٠٧

الزيتون ، وكان اسماعيل يصلي في هذا الجامع ويعمره ، وقد ظل هذا السوق من أبرز اسواق القيروان[٢] .

وبالقرب من هذا المسجد كان السراجون ، ودرب السنجاري الذي كان يسكنه غوث بن سليمان الانصاري[٣] ولما اعاد يزيد بن حاتم اعمار القيروان « رتب القيروان في أسواقها وجعل كل صناعة في مكانها[٤] ولعل هذا هو سوق الامارة[٥] .

وذكر ابن عذاري ان النار وقعت في سنة ٣٠٦ بالقيروان في سوقها[٦] .

ومن ابرز اسواق القيروان سوق الرهادرة و « اصله للخزن كان خرابا ، وكان سوق الرهادرة للرعية الذي هو الان للشواشين ومن معهم ، امر من مضى من السلاطين ممن ادركناه أن يبني ذلك الخراب حوانيت وينقل له اصحاب سوق الرهادرة جبرا ، ونفذ ذلك من أراد أن يسكن خارجه ولو بقربه لا يترك ، وربما يترك أشهرا ثم يرد الى سكناها كلاهما ، وهذا لا يجوز ، وما ياخذه القضاة من كراء تلك الحوانيت في مرتباتهم لا يجوز ، وهو يعكس جرحه في امامتهم وشهاداتهم[٧] .

وفي الصف القبلي من الرهادرة الرفاؤون وبعض حوانيت الكتانيين ، وما وراء ذلك كانت دورا لقوم فبنيت حوانيت وسميت الحوانيت الجدد ، وثقل الناس من اسواقهم اليها ، واخذوا سكناها وعمارتها للامير[٨] .

(٢) ابو العرب ٨٠ ، معالم الايمان ١٩٤/٢ .
(٣) رياض النفوس ١٠٩/١ .
(٤) الرقيق ١١٩ ، ابن عذاري ٩٣/١ .
(٥) ابو العرب ١٣٥ ، رياض النفوس ٥٩/٢
(٦) البيان المغرب ٢٥٣/١ .
(٧) معالم الايمان ٣٧/٢ ، والرهادرة هم باعة الجوخ ونسيج القطن والكتان (احسن التقاسيم ٣٠) ولم يذكروا بهذا الاسم الا في بغداد والقيروان ، ولا اعلم مصدر اشتقاق هذا الاسم . انظر : تكملة المعاجم العربية مادة « رهادنة » .
(٨) رياض النفوس ٢٨٠/١ ، معالم الايمان ٣٧/٢

ومن اسواق القيروان المشهورة سوق الاحد ، وكان مما يباع فيه الفخار[٩]، والقطن[١٠] ، ولعله كان عنده سوق القطانين حيث كان يعمل فيه محمد القطان مع عبدالجبار بن خالد[١١] .

وفي سوق الاحد درب ام ايوب ، وحفرة نسب اليها يحى بن سليمان الحفري[١٢] ولعل لهذا الحفر علاقة بالبئر الواسعة التي حفرها يزيد بن حاتم وجعل فوهتها من رخام وكانت غزيرة الماء وبنى عندها اصطبلات للخيل فكانت تسمى قبة الخيل[١٣] ، وبقرب هذا السوق ماجل مهروية ، وكانت حارة[١٤] .

ومن اسواقها سوق اليهود[١٥] وكان عنده درب ابي الطفيل التجيبي لانه كان يسكنه[١٦] .

وورد في المصادر السوق القديمة[١٧] ، والسوق الكبير[١٨] .

وذكرت المصادر اسواقا لاتحدد مواقعها من المدينة : ومما ذكرته :

١ ــ سوق الغزل (رياض النفوس ١/٣٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .

٢ ــ القطانين (معالم الايمان ٣/٢٤ ، ٢/٢٠٢) .

٣ ــ سوق البزازين ، وهي تسلك الى درب رباح (ابو العرب ١٢٤ وانظر : الرقيق ٦٨) .

ويذكر ابو العرب ان ابراهيم بن الاغلب شق يوما « سماط القيروان ومعه ابن غانم من باب الربيع ، فلما صار الى موضع البزازين زادت دابته في المشي (٢٢٩ ، رياض النفوس ١/٢١٨ ، ٤٢١ ، معالم الايمان ١/٢٢٤ ــ ٥ .

(٩) علماء افريقيه والمغرب للخشني ٢٣٢ .
(١٠) معالم الايمان ٢/١٣٤ .
(١١) معالم الايمان ٢/٢٠٥ .
(١٢) ابو العرب ١٧٤ ، معالم الايمان ٢/٣ .
(١٣) الرقيق ١٥٨ .
(١٤) رياض النفوس ١/٣١٢ .
(١٥) الرقيق ٢٠٧ ، ابو العرب ١٣٠ .
(١٦) الرقيق ١٦٧ .
(١٧) معجم البلدان ٢/٣٩٠ .
(١٨) رياض النفوس ١/٤٢١ .

٤ ـ سوق الجزارين (رياض النفوس ١/٤٠٥)

٥ ـ سوق الرفائين والكتانيين عند سوق الرهادرة (رياض النفوس ١/٢٨٠ ، معالم الايمان ٢/٣٧) .

٦ ـ سوق السراجين (رياض النفوس ١/١٧١) .

٧ ـ السيوريين (ابو العرب ١٣٥) .

٨ ـ سوق الزياتين ، ويقابل سوقهم رحبة (معالم الايمان ٤/٢١٥) .

٩ ـ الابزاريين (رياض النفوس ١/٢٣٥) .

١٠ ـ سوق الدجاج (رياض النفوس ١/١٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .

١١ ـ اصحاب الشوك وعندهم مسجد ابي الفتح (رياض النفوس ١/١٤٦ ، معالم الايمان ٢/٣٤٣) .

١٢ ـ سوق العربي (رياض النفوس ١/٣٤٦) .

١٣ ـ النباذين باعة الخمر (معالم الايمان ٤/٩٢) .

١٤ ـ سوق الزجاجين وفيه مسكن زرارة بن عبدالله (الرقيق ١٥٨) .

١٥ ـ سوق الكتب وعنده المسجد الذي بجوار حمام الفتح (رياض النفوس ١/٨٨) ولعلها حمام ابي اسحاق (رياض النفوس ٢/٥١ ! .

١٦ ـ سويقة ابي المغيره بن عمران (ابو العرب ١٦٢) .

١٧ ـ السقطيين (رياض النفوس ١/٢٢٥) .

١٨ ـ الفحامين (رياض النفوس ١/٤٨٨) .

١٩ ـ سوق هشام (رياض النفوس ٢/١٨٨ ؛ معالم الايمان ٣/٨٧) .

٢٠ ـ سوق بني هاشم منسوبة الى صالح صاحب بني هاشم (معالم الايمان ١/٢٤٧ .

الدمنة ومساجدها :ـ

الدمنة من معالم القيروان العمرانية البارزة، وكان فيها دار للمجذمين[1] وحارة للمرضى[2] وعدد من اهل البلاء[3]، وفيها مقام خمسة عشر من الاولياء، منهم دحيم، كلهم مستجاب الدعاء[4] وكان الناس يخرجون من الجامع الى دور العبادة والعلماء والمحارس والدمنة بالصدقة، يلبثون بالقيروان يفرقون الاموال للمساكين والمستورين[5] وكان امراء بني الاغلب يخرجون من المسجد الجامع الى الدمنة يزورون ابا محمد الانصاري[6] وكان كثير من الناس يذهبون اليها في الاعياد[7] .

وعند الدمنه مسجد عبدالله، سمي بعبدالله بن سعد وبه سمي المكان باب عبدالله، وهو عند السبخة التي في شرقي القيروان، وهو قريب الى المسجد المجاور لمقبرة سحنون الخراب، وقد اندرس الباب بانقراض رسوم القيروان[8].

وفي الدمنة مسجد ابى ميسرة، وهو احد المساجد السبعة الاولى في القيروان، ولما بنى السور المحدث اخذ شيء منه فصار في الشارع، وقد جدده حسن بن محمد بن واصل التميمي، وكان الفقهاء يسمونه مسجد ابي ميسرة، اما العامة فسموه مسجد ابن غلاب، باسم الشيخ العدل ابي اسحاق محمد بن ابراهيم بن محمد الغلابي المسراتي، وموقع المسجد من يسار الداخل من باب تونس[9] .

ومن المساجد المشهورة في الدمنة مسجد الخميس، بناه ابراهيم بن مضاء الضرير وكان يقرأ فيه الرقائق كل خميس

(١) معالم الايمان ١٣٥/٢ .
(٢) رياض النفوس ١٦٦/٢ .
(٣) معالم الايمان ١/٢ ١ .
(٤) معالم الايمان ٧٢/٢، ١١٦
(٥) معالم الايمان ٧٥/٢ .
(٦) رياض النفوس ١٧٠/١ .
(٧) رياض النفوس ١٤٦/٢ .
(٨) معالم الايمان ٢٨/١
(٩) معالم الايمان ٣/[illegible] معالم الايمان ١١٦/٢

واشهر مساجد الدمنة مسجد السبت ، وهو قرب مسجد الخميس[١١] والمسجد ينسب الى ابي محمد الانصاري الضرير[١٢] وكان « يحضره الزهاد والعباد ، يقرأ فيه القارىء آية من كتاب الله عز وجل وبعض حكايات الصالحين .. كانوا يخرجون منه يوم السبت فيبقى اثره الى السبت الثاني .. فما سمي بمسجد السبت الا لعمل الرقائق فيه كل سبت خاصة[١٣] يعرف مسجد السبت بمسجد الدمنة وهو يلاصق السور القديم من الجبلي[١٤] ، ويقع خارج السور[١٥] .

وقد لقي اجتماع الناس في مسجد السبت معارضة من بعض الاتقياء ، فكان يحيى بن يعمر « شديد الانكار على من يحضر مسجد السبت ، وكان يرى ان هذا بدعة لم يكن في الزمان الاول ، فالف تاليفا في وجوب عدم حضوره ، فكان لا يحضره وينهى عن حضوره ، وكانت المشيخة في زمانه على خلافه ، وتابعه على قوله الشيخ ابو الحسن ابن الفاس رحمه الله تعالى ، وكان يقول ياقوم هذا القرآن يتلى والاحاديث النبوية ويسمع الانسان بيتا من شعر فيبكي ، هذا عجيب . وتبعه تلميذ الشيخ ابو عمران الفاسي درج على ذلك[١٦] ثم خرب مسجد السبت الى ان جاء علي بن عبدالعزيز الهلواري ، فلازم مسجد السبت وعمره بعد خرابه وانقطع فيه للعبادة ، وكان كثيرا ما يقضي ليله فيه ، وياتيه العلماء فيه للعبادة والانقطاع الى الله عز وجل »[١٧] وصار مسجد السبت يسمى في زمن ابن الدباغ « مسجد العربي » لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد شعر بني معدن في الزهد ويقرأ ايات من كتاب الله وحكايات[١٨] .

---

(١١) معالم الايمان ٣١١/١ .
(١٢) معالم الايمان ٧٣/٢ .
(١٣) معالم الايمان ١٥٩/٢ .
(١٤) معالم الايمان ٣١/١ .
(١٥) معالم الايمان ٧٣/٢ .
(١٦) معالم الايمان ٥٩/٢ ، ٢٧/٣ .
(١٧) معالم الايمان ١٩/٤ . (١٨) ٢٤٤/٣ ، وانظر ٧٣/٢، ١٥٩ .